تقويةُ الإيـمَان

● **الغاية من الخطبة** : تقوية إيمان المسلم لكي تزدادَ طاعتُه لله وتقلَّ معاصيه .

● **العناصر الأساسية** :

(١) دِلالة الآفاق .

(٢) دِلالة الأنفس .

(٣) دور المجتمع .

(٤) الحماية والوقاية للنفس والأهل .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) من المعلومِ للناسِ كافةً أن انتشارِ المعاصي والآثامِ سببُه ضَعفُ إيمانِ الأفرادِ باللهِ تعالى وكتبِه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ ، والحسابِ والعقابِ والجنةِ والنارِ . كما أن الإيمانَ القويَّ باللهِ تعالى وكتبِه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ يؤدِّي بالفرد إلى الالتزامِ بأوامرِ دينِه ، وطاعةِ ربِّه ، والبُعدِ عن المعاصي والآثامِ . ولا يُجادِلُ أحد في صحةِ هذه المعلومةِ . فالإيمانُ اعتقادٌ بالقلبِ يُعبِّرُ عنه اللسانُ ، ويُصدِّقُه العملُ . فالطاعةُ دليلٌ على تمكُّنِ الإيمانِ في القلبِ . والمعصيةُ دليلٌ على ضَعفِ الإيمانِ أو عدمِ وجودِه . والقرآنُ الكريمُ يؤكدُ صحةَ هذا الارتباطِ بين الإيمانِ القلبيِّ وعملِ الجوارحِ ، فيقولُ ﷻ ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الماعون:١-٣) فالتكذيبُ بالدينِ عملٌ باطنيٌّ قلبيٌّ لا يراهُ إلا اللهُ تعالى ، لكنه يَكشِفُ عن نفسِه في عملِ الإنسانِ الخارجيِّ الظاهرِ؛ وقد ذَكرَتِ الآيةُ الكريمةُ دَعَّ اليتيمِ ، وعدمَ الحَضِّ على طعامِ المسكينِ ، أمثلةً أو نماذجَ من الأفعالِ التي تدلُّ على أن فاعلَها مُكذِّبٌ بالدينِ . ولذلك لا نحتاجُ إلى شقِّ صُدورِ الناسِ لنعرفَ إن كانوا مُكذِّبين بالإسلامِ أم مُصدِّقين به . فأفعالُهم تفضحُهم أو تُشرِّفُهم ، وتشهدُ بتكذيبِهم أو بإيمانِهم .

- إذن ، علينا أن نسْعَى لتقويَةِ الإيمانِ في قلوبِنا ، لكي تزدادَ طاعاتُنا وتقلَّ معاصينا . فكيف يكونُ ذلك ؟

- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٥٣) وقد أرَى خَلقَه ﷻ أعظمَ الآياتِ في أنفسِهم وفيما حَوْلَهم لكي يَعلموا يقيناً أنَّ الدينَ حقٌّ وأن لهذا الوجودِ خالقاً عظيماً ، يُدبِّرُ أُمورَه ، وأنه أرسلَ رُسلَه مُبشرين ومُنذِرين وأنه أعطاهم كتباً لِهدايةِ خَلقِه ، وأن مَن أطاعَه فازَ في الدنيا والآخرةِ ، ومَن عصَاهُ خَسِرَ . وقالَ ﷻ ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه:١٢٣،١٢٤).

- وذكرَ القرآنُ الكريمُ بعضَ الآفاق وما فيها من الآياتِ ، فقالَ تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ (يس:٣٣،٣٤) فمن التراب والطينِ يَخرجُ الحبُّ الذي يأكلُه البَشَرُ . ومنه تخرجُ الفاكهةُ الشهيةُ اللذيذةُ المتنوعةُ . فإذا فكرَ الإنسانُ في هذه الحقائقِ وتأمَّلَها ، عرفَ خالقَها وآمَنَ بدينِه ، وأطاعَ رسولَه وكتابَه ، وكان من الفائزين .

- وذكرَ القرآنُ الكريمُ الأنعامَ من ضِمنِ الآفاق الشاهدةِ على عَظمةِ الخالقِ فقالَ ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (المؤمنون:٢١،٢٢) وتلك عِبرةٌ عظيمةٌ مُدهشةٌ ، ففي بطونِ البقرِ والجاموسِ والأغنامِ أشياءٌ عديدةٌ ، من اللحمِ والدُّهنِ والماءِ والدمِ والرَّوَثِ وغيرِ ذلك ، لكنَّ اللبنَ يصبُّ في ضُروعِها صافياً نقياً ، لنشربَه نحن البَشر . يقولُ اللهُ تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ (النحل:٦٦) .

- وذكرَ القرآنُ الكريمُ من الآفاقِ : الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنجومَ والفُلكَ التي تجري في البحرِ ، والبحارَ والأنهارَ والجبالَ والسهولَ ؛ وفي كلٍ منها آياتٌ عظيماتٌ تَزرعُ الإيمانَ باللهِ في القلوبِ وتثبِّتُه في الأفئدةِ . فعلينا أن نتأملَ في هذه الآفاقِ لِنزدادَ إيماناً ، ونزدادَ طاعةً تبعاً لذلك .

(٢) وإذا تأمَّلْنا في أنفسنا ، في أجسامنا وحواسِّنا وجوارحنا ، وفي الأجهزة العديدة المعقدة التي تعملُ ليلَ نــهارَ في بطوننا وصدورنا ، فسوف نرى آيات الله العظيمةَ فـــي كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ منها . وقد عُرِضَتْ أشرطةٌ كثيرةٌ جداً في عددٍ من البرامجِ التلفزيونيةِ عن مكوِّناتِ الإنسانِ فأذهلَتنا جميعاً ، في دقَّتِها ، وتعقيدِها . وتآزُرِها التلقائي من أجلِ استمرارِ حياةِ الإنسان ونموِّهِ ، وسعادتِه ، إلى أن يحلَّ أجلُه . وأمَّا نشاطُ الإنسانِ الروحيُّ والعقليُّ والنفسيُّ فلا يزالُ ألغازاً . وكلما تقدمتِ العلومُ الحديثةُ ازْدادَ العلماءُ إدراكاً للآمادِ البعيدةِ المجهولةِ في النفسِ البشريةِ . وأمَّا الروحُ فعِلمُها عند اللهِ تعالى . فإذا أرادَ المسلمُ أن يُقوِّيَ إيمانَهُ ، ويزدادَ طاعةً للهِ تعالى ، عليه أن يُديمَ التفكيرَ فـي نفسِه ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١).

(٣) هذا عن دورِ الفَـرْدِ في تقويةِ إيمانِه . لكنَّ هناك دوراً خطيراً للمجتمعِ . فالأسرةُ المسلمةُ هي التي تشكلُ شخصيةَ الطفلِ ، وتغرسُ فيه الصلاحَ وتحبِّبُ إليه الإيمانَ ، وتُنفِّرُه من المعاصي . لكنَّ الأسرةَ اليومَ تخلَّتْ عن دورها للتلفزيون والمدرسةِ ، لأنَّ الأبُ يعملُ ليلَ نهارَ ، والأمَّ تعملُ ليلَ نهارَ ، وهي تُلهي أطفالَها بالتلفزيون لكي تتفرغَ لأعمالِها . وهناك أُسرٌ كثيرةٌ لا تهتمُّ أصلاً بتربيةِ أولادِها تربيةً إسلاميةً . وهناك أسر تُفسِدُ الأولادَ لأن الوالديْن فاسدان ، ويُعلمان أولادَهما الفسادَ عن طريقِ الأُسوةِ السيئةِ ! وبعضُ الأُسرِ لا يُهمُّها إلا النجاحُ في الدراسةِ ، وأما الدينُ والإيمانُ والصلاحُ وطاعةُ اللهِ فلا مكانَ لها عندَهم . فنسبةُ الأُسرِ التي تقومُ بدورها في تربيةِ الأولادِ محدودةٌ للأسفِ الشديدِ . وهذا خطرٌ شديدٌ على المجتمعِ المسلمِ .

- وإذا نظرنا إلى المدرسةِ وجدْناها مثلَ الأُسرةِ . فهي لا تهتمُّ بالتربيةِ الدينيةِ إلاَّ في المراحلِ الابتدائيةِ . ونجاحُها في ذلك محدودٌ جداً . وفي المراحلِ الأعلى يَنعدمُ الاهتمامُ بدينِ الطلابِ . ودراسةُ المناهجِ تكشِفُ عن قصورٍ شديدٍ فيها من ناحيةِ الإيمانِ الدينيِّ ؛ بل فيها كلامٌ يُضادُّ الإيمانَ باللهِ ويشكِّكُ فيه . وفي الجامعةِ يستْفحِلُ الخطرُ ، ويُنسَى الدينُ ، ويَكثرُ الكلامُ عن النظرياتِ التي تهدمُه وتُشكِّكُ فيه .

- والفنونُ والآدابُ التي تُنشَرُ في الإعلامِ المَقروءِ والمسموعِ والمُشاهَدِ خليط من الدينِ وضِدِّه ، ومزيج قبيح من الفسادِ والصلاحِ . والمُحصِّلةُ لذلك كلِّه ليستْ في صالحِ الإيمانِ والإسلامِ والصلاحِ والتقوى .

(٤) وهذا يقودُنا إلى المنهجِ الإسلاميِّ الذي يحمي أولادَنا من أخطارِ الفسادِ ؛ ألا وهوَ : الحمايةُ منها ، بالبُعْدِ عنها وعن مصادرها وأهلِها . فالوالدُ الحريصُ على دينِ أولادِه يُشبهُ المُزارعَ الحريصَ على زرْعِه . فهو يزرعُ ويُسمِّدُ ، ويَرْوي ، وكذلك يَحمي الزرْعَ من الآفاتِ الزراعيةِ ويُقاومُها بكلِّ ما أُوتِيَ من قوةٍ ووسائلَ . واللهُ تعالى يأمرنا فيقولُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦) وحمايةُ الأولادِ في السنواتِ الأولى من العُمرِ أهمُّ منها بعدَ ذلك وأيْسَرُ . والمهمُّ هو تعْويدُهم من الصِّغرِ على الأخلاقِ الحَسَنةِ . وحمايةُ الرجلِ لنفسِهِ ولزوجتِه واجبة أيضاً ، وذلك بأن يبتعِدَ عن المفسدين ولا يُجالسَهم أو يشاركَهم في شيءٍ ، وبأن يتقرَّبَ إلى أهلِ الصلاحِ والعلمِ . وبذلك يُمكِّنُ الإسلامَ من أن يَنفردَ بقلبِه دون أن تُنازعَه عواملُ الفسادِ من شياطين الجنِّ والإنسِ . وعلى المسلمِ أن يجعلَ القرآنَ الكريمَ رفيقَه الحميمَ ، يَتلو آياتِه ، ويحفظُها ويُحاولُ أن يتدبَّرَها ثم يلتزمُ بالعملِ بها . فهذا هو الطريقُ إلى تقويةِ الإيمانِ التي تقودُ المسلمَ إلى طاعةِ اللهِ والنجاةِ والفوزِ في الدنيا والآخرةِ .

(الدعاء)

فريضةُ العَمَلِ والإنتاجِ

● **الغاية من الخطبة** : تبصير المسلمين بواجب بَذل أقصى الجهد لسدِّ حاجات الأمة المسلمة بحيث لا تحتاج إلى استيراد غذائها من الخارج .

● **العناصر الأساسية** :

(١) لماذا لا ننتج ما يكفينا من الطعام وغيره ؟

(٢) ما تعاليم الإسلام التي لو اتبعناها لأنتجْنا ما يكفينا وزيادة ؟

(٣) العدالة في توزيع الثروة الوطنية بين العاملين .

(٤) سدُّ حاجات غير العاملين .

(٥) تحاشي التبذير في الحلال والحرام .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) ابتُلِيَتْ الأمةُ المسلمةُ بأمراضٍ فرديَّةٍ واجتماعيةٍ عديدةٍ ، انتهتْ بنا إلى هذا الوَضعِ الكريهِ الذي نبغي تغييره ، ألا وهو : عَجزُنا عن إنتاجِ ما يكفينا من الطعامِ والكِساءِ وكثيرٍ جداً من الأدواتِ والمصنوعاتِ الضروريةِ التي لا يمكنُ الاستغناءُ عنها . ولهذا نَسْتوردُ القمحَ بكمياتٍ هائلةٍ من الخارجِ ، لأن إنتاجَنا من الحبوبِ لا يصلُ إلى نصفِ ما نحتاجُ إليه . والعالمُ العربيُّ مثلُنا في هذا العجزِ ، على الرغمِ من أن المساحاتِ القابلةِ للزراعةِ هائلةٌ ، والماءُ متوفرٌ ، أو يمكنُ توفيرُه . والأساليبُ الحديثةُ في الزراعةِ تُعينُ الإنسانَ على زراعةِ الصحراءِ ، وتُضاعِفُ الإنتاجَ من الأراضي القديمةِ ، كوادي النيلِ . وفي السودانِ مثلاً ملايينُ الأفدنةِ من الأرضِ الزراعيةِ ، لكنَّ محاولةَ زراعتِها لا تزل ضعيفة . وفي العراقِ إمكانياتٌ زراعيةٌ كبيرةٌ أيضاً ، لكنها لم تُستَغلَّ حتى الآن . وأسبابُ هذا العجزِ عديدةٌ . فنحن كأفرادٍ نَتميَّزُ بالكسلِ وكراهيةِ العملِ الجادِّ ، ونميلُ إلى اللهوِ والقعودِ . وهذه الميزةُ ـ أو السَّوْءَةُ ! ـ ترتبطُ بسَوْءَةٍ أخرى هي : عدمُ الإتقانِ . فالعاملُ والمزارعُ

والطبيبُ والمدرسُ والمهندسُ والمحاسبُ والمديرُ والخفيرُ ، لا يحْرصُون على إتقانِ أعمالِهم . ولا نقولُ إن الكلَّ في هذا سَواءٌ . فالتعميمُ خطأٌ . وهناك مَن يُتقِنُ عملَه بدرجةٍ أو بأخرى . وعدمُ الإتقانِ كثيراً ما يُؤدِّي إلى إتْلافِ الأشياءِ ، والاضطرارِ إلى إعادةِ العملِ من جديدٍ ، بموادَّ أخرى ، وتكاليفَ إضافيةٍ ، ووقتٍ أطولَ . ونظرةٌ واحدةٌ إلى الطرقِ تُبيِّنُ لنا هذه الحقيقةَ المؤسفةَ . وهذه المباني الجديدةُ ، التي لم تُسْكَنْ بَعدُ ، تشقَّقتْ جُدرانُها ، وسلالمُها ! وتستعْصِي أبوابُها على الفتحِ والغَلقِ إلا بشِقِّ الأنفُس ! فإذا سُكِنَتْ أياماً ظهرتْ العيوبُ الخطيرةُ في دوراتِ المياهِ ونغَّصَتْ حياةَ ساكنيها الجُددِ المساكينِ ! وتقفُ العماراتُ القديمةُ التي شُيِّدَتْ منذُ عشراتِ السنينِ شامخةً راسخةً . وجاءَتْ الزلازلُ فانهارَتْ العماراتُ والمدارسُ الجديدةُ ، ولم تنهَرْ المباني القديمةُ . ولهذا ظهرَتْ مشكلةُ الإسكانِ . فنحن لا نبني ما يكفينا . وما نَبنيهِ مَعِيبٌ قصيرُ الأجَلِ . وهناك بطبيعةِ الحالِ أسبابٌ أخرى لأزمةِ الإسكانِ التي أفرزَها النظامُ الاشتراكيُّ الفاشلُ ، حين اتَّبعَ سياسةَ تحديدِ الإيجاراتِ ، فتوقَّفَ المواطنون عن البناءِ .

(٢) والإسلامُ يأبَى للمسلمِ أن يكون كسولاً خاملاً ، ولا يرضى للمسلمِ عدمَ الإتقانِ . يقولُ اللهُ تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(الملك:١٥) ولكنَّ كثيرين منا يريدون الأكلَ من رزقِ اللهِ في الأرضِ دون أن يمشوا في مناكِبها ! يريدون الاستمتاعَ بالدنيا بطُرُقٍ مُلتويةٍ ، لا تنتجُ طعاماً ولا كِساءً ولا مَسكناً ولا آلةً مفيدةً ، كالسيارةِ أو الدراجةِ . واللهُ تعالى يأمرُنا فيقولُ ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ (التوبة:١٠٥) ويقولُ ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف:١٠) والرسولُ ﷺ يقولُ :« إنْ قامَتِ الساعةُ وفي يَدِ أحدِكم فسيلةٌ فليزْرَعْها ». ولو أننا اتَّبعْنا تعاليمَ دينِنا ، وعمِلنا واجتهَدْنا كلُّ واحدٍ في مهنتِه أو في مجالِه ، ونبذْنا الكسلَ واللهوَ ، وتحلَّينا بالجدِّيةِ ، لأنتجْنا ما يَكفينا وزيادةً . ولو تذكَّرْنا أنَّ اللهَ تعالى سيرى عمَلنا ، ويُكافِئنَا عليه بما نستحقُّ ، وفوقَ ما نستحقُّ ،

لَضاعفْنا عملَنا . ولا يَظُنَّنَّ أحَدٌ أن العملَ المقصودَ بهذه الآياتِ الكريماتِ هو العباداتُ فقط : من صلاةٍ وصيامٍ وحَجٍ وزكاةٍ . فالعملُ في الحقلِ والمصنعِ والمدرسةِ والمستشفى والمكتبِ ، وفي كلِّ مكانٍ ، هو عبادةٌ للهِ تعالى ، طالما توجَّهَ المسلمُ إلى اللهِ تعالى بإخلاصِ نيةٍ وصفاءِ قلبٍ . وكيف يُزكّي المسلمُ إذا لم يملكِ المالَ الذي يبلغُ النِّصابَ ، ويَحولُ عليه الحَوْل ؟ ولكي يملكَ الإنسانُ المالَ الحلالَ ، ويزيدَ مالَه عن حاجاتِه ، لابُدَّ أن يعملَ ويجتهدَ ، ويُتْقِنَ عملَه . وحتى لو وَرِثَ المسلمُ مالاً كثيراً ، فإنه قد يُبَدِّدُه إذا لم يُحسِنْ إدارَتَه ، ويجتهدْ في استثمارِه وتنميتِه . وكذلك فريضةُ الحَجِّ لا يستطيعُ أداءَها إلا القادرون الأغنياءُ . والقدرةُ لا تتحقَّقُ إلا بالعملِ والاجتهادِ والإتقانِ والإخلاصِ والمثابرةِ والجدِّيةِ في الحياةِ كلِّها . أي أن اثنيْن من أركانِ الإسلامِ ، وهما الحَجُّ والزكاةُ ، لا يقدرُ عليهما إلاَّ الأغنياءُ .

(٣) فالفردُ المسلمُ له دَورُه المهمُّ جداً في أداءِ فريضةِ العملِ والإنتاجِ ، لكيلا تحتاجَ أمتُنا إلى استيرادِ طعامِها من الخارجِ . لكنَّ المجتمعَ ككلٍّ مُطالَبٌ باتِّباعِ النظامِ الإسلاميِّ في كلِّ مجالاتِ الحياةِ . فطاعةُ اللهِ والتقوى من أهمِّ أسبابِ الرزقِ . واللهُ تعالى يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف:٩٦) وبالنسبةِ لموضوعِنا ، أهمُّ الطاعاتِ وأشملُها استنادُ المجتمعِ إلى العدالةِ الإسلاميةِ ، وتوزيعُ الثروةِ بحسبِ قواعدِها . وقد كان النظامُ الاشتراكيُّ البائدِ سبباً أساسياً في تفشِّي الخمولِ والتهربِ من فريضةِ العملِ ، وضَعفِ الإنتاجِ . وقد قضَى على المبادرَةِ الفرديةِ والحوافزِ الشخصيةِ . والعدالةُ الإسلاميةُ تُعطي كلَّ إنسان بقَدْرِ عَمَلِه . وفي هذا يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ ﴾ (فصلت:٤٦) ويقولُ أيضاً ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم:٣٨،٣٩) فمَن زرعَ مِن حقِّهِ أن يَحصِدَ ؛ ولا يجوزُ لأحدٍ أن يأخذَ منه شيئاً إلاَّ برضاهُ وإرادَتِه الحُرَّةِ . فإذا أخذَ أحدٌ منه شيئاً دون رضاهُ ، فذلك هو الظلمُ . هذا المبدأُ

هو مَبدأُ العدالةِ الإسلاميةِ . وهو يُطلِقُ الحوافزَ الفرديةَ ويُشعلُها ، فيبذلُ كلُّ فردٍ أقصى ما يستطيعُ . وبذلك تُؤدَّى فريضةُ العملِ على أحسنِ وجهٍ ، ويزدادُ إنتاجُ الأمةِ ، فلا تحتاجُ إلى الاستيرادِ ، وتأكلُ خُبزَها من إنتاجِ أبنائها ، وتصنعُ الآلاتِ والمُعدَّاتِ لسَدِّ احْتياجاتِها ، وتُصدِّرُ بعضَ إنتاجِها لتستوردَ به ما لا تستطيعُ إنتاجَه .

(٤) وأما الذين لا يعملون بسببِ العَجزِ أو الشيخوخةِ أو صِغَرِ السِّنِّ أو عدمِ وجودِ العملِ ، فالعاملون مسئولون عن إعالتِهم . والإسلامُ يشقُّ لهم طرقاً عديدةً تؤدِّي إلى الوفاءِ بحاجاتِهم الإنسانيةِ ليعيشوا في كرامةٍ . من ذلك مثلاً نفقاتُ الأقاربِ . فالأبُ مسئولٌ عن أولادِه . والأولادُ إذا كبرُوا مسئولون عن نفقاتِ آبائهم إذا احتاجوا إليهم . وكذلك الأجدادُ القادرون مسئولون عن حَفدَتِهم العاجزين والعاطلين . والعكسُ صحيحٌ أيضاً . وهكذا يبني الإسلامُ شبكةً مُحكمَةً من حلقاتِ التكافلِ والتعاونِ بين القادرين والمحتاجين . هذا فضلاً عن الزكاةِ المَفروضةِ ، والتبرعاتِ والصدقاتِ والكفَّاراتِ . ونحن نجدُ اليومَ بعضَ الأراملِ والأيتامِ يعيشون عيشةً طيبةً في ظلِّ قنواتِ التكافلِ الإسلاميِّ . ونحن نَسْعَدُ بذلك أعظمَ سعادة . ويُسعدُنا أن يلتزمَ الجميعُ بواجباتِهم الماليةِ تجاهَ أهليهم وأقاربِهم ، ولا يتخلَّفَ أحدٌ من المسلمين عن أداءِ الزكاةِ المفروضةِ ، والنفقاتِ الواجبةِ .

(٥) ولكي يستغني المجتمعُ المسلمُ عن الاستيرادِ يجبُ علينا أن نتحاشَى كلَّ أنواعِ التبذيرِ . واللهُ تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (الإسراء:٢٧) ونحن للأسفِ نُلاحظُ وجودَ المُبذرين ، لا في الحلالِ فقط ، من طعامٍ وأثاثٍ ولباسٍ ، ولكن في الحرامِ أيضاً . ولذلك نستوردُ الدُّخانَ بملايينِ الدولاراتِ سنوياً .

(الدعاء)

دور المرأة في حياة الأسرة

● **الغاية من الخطبة** : بيانُ دور المرأة في حياة الأسرة وحثُّ الرجال على تأهيلها للقيام به ، وحثُّ النساء على الحرص على أدائه طاعةً لله تعالى .

● **العناصر الأساسية** :

(١) دور المرأة تجاه زوجها .

(٢) ودور المرأة تجاه أولادها .

(٣) ودور الأسرة الأولى أى الأجداد .

(٤) والدور الاقتصادي للمرأة في حياة أسرتها .

(٥) الدور الحمائي للمرأة .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يتَّهمُ بعضُ الكُتابِ الإسلامَ بأنه لا يُقدِّرُ دَورَ المرأةِ ، وبأنه ينظرُ إليها نظرةً غيرَ سديدةٍ . وكلامٌ كثيرٌ يُردِّدونَه دون مللٍ . وغرضُهم الحقيقيُّ تنْفيرُ النساءِ المسلماتِ من الإسلامِ ، وجَذبِهِنَّ بعيداً عن تعاليمِه وأخلاقياتِه ، ثم إقناعُهن بتقليدِ النساءِ الغربياتِ في أمريكا وأوربا . ولهذا وجدْنا أن قضيةَ المرأةِ ليست سِوى مَدخلٍ للهجومِ على الإسلامِ ؛ وإن حاولوا تصويرَ أنفسِهم على أنهم المدافعون عن حريةِ المرأةِ ومَصالِحِها . فنريدُ اليومَ أن نبيِّنَ دورَ المرأةِ المسلمةِ في حياةِ أسرتِها ، كما بيَّنه القرآنُ الكريمُ وكما بيَّنتْه السُّنةُ النبويةُ المطهرةُ . والرجلُ المسلمُ مسئولٌ عن تربيةِ بناتِه التربيةَ الإسلاميةَ التي تُمكِّنُهنَّ من القيامِ بدَورهِنَّ على أحسنِ وجهٍ حين يتزوجْنَ . وحين نقولُ «الأُسرَةُ» فإننا نقصِدُ الزوجيْن أولاً ، ثم الأولادِ ثانياً .

ثم أهلَ الزوجِ وأهلَ الزوجةِ المُقرَّبين . والقرآنُ الكريمُ يصفُ علاقةَ المرأةِ بزوجِها فيقولُ ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء:٣٤) فلكيْ تـؤدِّي المرأةُ دَورَها الصحيحَ نحوَ زوجِها لابدَّ أن تعترفَ له برئاسةِ الأسرةِ ، والقوَامَةِ عليها . ولا بدَّ للزوجِ أن يتحمَّلَ نفقاتِ أسرتِه . والزوجةُ الصالحةُ تطيعُ زوجَها فيما يُرضي اللهَ تعالى ويُحقِّـقُ مصالحَ الأسرةِ . وفي غَيبةِ الزوجِ تكونُ الزوجةُ بمثابةِ الوكيلِ الأمينِ الذي يَرْعَى مصالحَ مُوكِّلِه ، ولا تفعلُ أيَّ شيءٍ يُغضبُه من وراءِ ظهرِه . وقد وصفَ رسولُ اللهِ ﷺ المرأةَ الصالحةَ القانتةَ الحافِظةَ للغيبِ ، فقالَ لعمرِ ﷺ : «ألا أُخبرُكَ بخيرِ ما يَكنِزُه المَرْءُ ؟ المرأةُ الصالحةُ : إذا نظرَ إليها سَرَّتْه ، وإذا أمرَها أطاعَتْه ، وإذا غابَ عنها حَفِظتْه . « والمرأةُ الصالحةُ لا يمكنُ أن تتورَّطَ في النُّشوزِ ، أي العِصيانِ لزوجِها ؛ فذلك يحيلُ حياةَ الأسرةِ إلى جحيمٍ . لكنَّ هذا لا يعني بحالٍ أنَّ للرجلِ أن يستبدَّ بأمورِ أسرتِه ؛ فالشورى واجبةٌ عليه ، واللهُ تعالى يصفُ المؤمنين فيقولُ ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى:٣٨) وقد ذكرَ القرآنُ الكريمُ مثالاً لذلك فقالَ تعالى ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ (البقرة:٢٣٣).

(٢) ودَورُ المرأةِ تجاهَ أولادِها له أهميتَه الكبرى . فهي تلتزمُ العنايةَ بالولدِ وهو جَنينٌ في بطنِها ، فلا تأكلُ شيئاً ولا تشربُ شيئاً ولا تفعلُ شيئاً يمكنُ أن يَضرَّه . حتى الأدوية لا تتناولُها إلا للضرورةِ ، وبعد استشارةِ الطبيبِ ، خَشيةَ أن تكونَ ضارةً بالجنينِ . وبعدَ الولادةِ تكونُ الأمُّ هي كلُّ شيءٍ بالنسبةِ للرضيعِ؛ فهي تُرضعُه ، وترعَاه ، وتسهرُ عليه الليلَ والنهارَ ، وتُعلمُه كلَّ شيءٍ ، بالتدريجِ .

وهكذا يكونُ دورُها في هذه المرحلةِ أكبرُ كثيراً من دَوْرِ الزوجِ . والرسولُ ﷺ يقررُ هذه الحقيقةَ فيقولُ : « كلُّكم راعٍ . . والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسئولةٌ عن رعيَّتِها ». والزوجُ مشغولٌ بعملِه خارجَ البيتِ ؛ والزوجةُ هي التي تقضي وقتَها كلَّه في وَسَطِ أولادِها في بيتِها ، ولذلك كان دورُها التربويُّ أكبرُ من دَورِ الرجلِ ، وخصوصاً في السنواتِ الأولى من عُمرِ الطفلِ ، حتى ستِّ سنواتٍ ، حيث تتكونُ شخصيةُ الطفلِ . ومن الصعبِ بعد ذلك أن يُغيِّرَها ، فتجدُه يعودُ إلى السلوكِ الذي تعلَّمَه في تلك الفترةِ مهما كانت الضغوطُ الحياتيةُ التي تدفعُه لمُخالفتِها . إنه يُشبهُ الوَترَ في آلةِ العودِ أو الكمانِ ، يبتعدُ عن خَطِّه المستقيمِ بالضغطِ ؛ فإذا رُفِعَ الضغطُ ، عادَ إلى استقامَتِه ! غير أن دورَ المرأةِ هذا لا يُمكنُ أن يؤدَّى على النحوِ الإسلاميِّ المنشودِ إلا إذا كانت المرأةُ على درجةٍ معقولةٍ من العلمِ والمعرفةِ والثقافةِ والخبرةِ . وأمَّا إذا كانت جاهلةً فإنها قد تقومُ بدورٍ مُخرِّبٍ ! فما يَبنِيهِ الوالدُ أو المَدرَسَةُ تهدمُه هي بجهلِها وحَماقتِها .

(٣) ولذلك يجبُ على والدِ الفتاةِ أن يَحْرصَ على تعليمِها وتَربيَتِها تربيةً إسلاميةً ، حتى إذا تزوَّجَتْ كانت أُمّا ناجحةً ، قادرةً على تربيةِ أولادِها . وكلُّ زوجٍ مَسئولٌ عن تنميةِ مهاراتِ زوجتِه وتربيتِها وإرشادِها . ودَورُ والدِ الزوجةِ لا يتوقف بعد الزواجِ ، بل يستمرُّ . وهو حَيويٌّ جداً للأسرةِ الجديدةِ قليلةِ الخبرةِ . وكذلك دورُ أمِّ الزوجةِ مطلوبٌ للأسرةِ الجديدةِ ، وتربيةِ الحَفدَةِ ، شريطةَ أن يكون دوراً واعياً إيجابياً بنَّاءً ، وليس العكس . والشيءُ نفسُه يجبُ أن يُقالَ بالنسبةِ لوالدَي الزوجِ . فالأُسرتانِ الأوليانِ تساعدانِ الأسرةَ الصغيرةَ الجديدةَ ، حتى تكتسِبَ الخبراتِ اللازمةِ ، وتستقرَّ ، وتقفَ على قدَمَيْها . وهذا واجبُ الأجدادِ ، ولا يجوزُ أن يتقاعَسُوا عن أدائِه ، لأنه إتمامٌ مهمٌّ لدورِهم في التربيةِ ، فهم رُعاة لأولادِهم وحَفدَتِهم بحُكمِ الحديثِ الشريفِ وبحُكمِ مبدأ التعاونِ على البرِّ والتقوى ؛ واللهُ تعالى يقولُ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة:٢) وهذا التعاونُ في التربيةِ أهمُّ من التعاونِ في النواحي الأخرى ، الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ .

(٤) ويقودُنا هذا الحديثُ إلى بيانِ الدورِ الاقتصاديِّ للمرأةِ في حياةِ أسرَتِها . حقاً إن الزوجَ هو المسئولُ شرعاً عن الوفاءِ بحاجاتِ أسرَته من المَسْكنِ والغذاءِ والكِسَاءِ والدواءِ . واللهُ تعالى يقولُ ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة:٢٣٣) لكنَّ الزوجةَ الخبيرةَ ، المدبِّرةَ ، تستطيعُ أن توفرَ على زوجِها الكثيرَ من النفقاتِ في الطعامِ والكِساءِ والنفقاتِ اليوميةِ العديدةِ . وكلُّنا يعرفُ الفرقَ بين زوجةٍ مُسرفةٍ وأخرى مُدبرَّةٍ . وربما كانت المرأةُ عاملةً ، وبذلك تستطيعُ أن تُعينَ زوْجَها ببعضِ النفقاتِ . ونحن نرى اليومَ كثيراً من الزوجاتِ يعملْنَ في كلِّ مكانٍ . وبعضُ الزوجاتِ مرتَّبُهنَّ الشهريُّ يزيدُ على مرتبِ الزوجِ . ومن المؤسفِ أن مشكلاتٍ عديدةً تقعُ بسببِ الخِلافِ على مرتبِ الزوجةِ ؛ وبدلاً من أن يكون سبباً للعيْشِ المريحِ ، ينقلبُ إلى سببٍ للنكَدِ ! ولو كان الأزواجُ والزوجاتُ من الأتقياءِ لما حدثَ نكدٌ أو غضَبٌ أو خِلافٌ .

(٥) وهناك دَورٌ آخرَ مهمٌّ للمرأةِ هو الدورُ «الحمائي» - يعني دورَها في حمايةِ زوجِها وأولادِها . وهذا طبعاً بمشاركةِ الزوجِ ، بل هو المسئولُ الأولُ عن حمايةِ أسرتِه . وفي هذا يحذِّرُنا القرآنُ الكريمُ بقولِ اللهِ تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦) وهذه الوقايَةُ من النارِ لا تتحققُ إلا بطاعةِ اللهِ تعالى . والطاعةُ تحتاجُ أولاً إلى معرفةِ المسلمِ بواجباتِه الدينيةِ والدنيويةِ . فالعملُ يُبْنَى على العلمِ . فكان على الآباءِ والأمهاتِ تعليمُ أولادِهم الدِّينَ ، وتدريبِهم عليه منذُ الصِّغَرِ . وهذا يتطلَّبُ أن يكون الوالدان أُسْوَةً حَسَنَةً للأولادِ في الكلامِ والعملِ وفي العباداتِ والمعاملاتِ ، ولا تكفي النصائحُ والدروسُ الشفهيةُ دون أن يَتبَعَها التطبيقُ والالتزامُ . وكما يزرعُ الزارعُ ، ثم يحمي زَرْعَه من الحشراتِ الضارةِ ، كذلك يجبُ أن يفعلَ الوالدان ؛ والزوجةُ في هذه الحمايةِ لها الدَورُ الأكبرُ بسببِ حضانتِها للأولادِ في الصِّغَرِ وقدْرتِها على تعْويدِهم

على العاداتِ الحسنةِ ، واجتنابِ الأشرارِ والفاسدين ، وعلى الزوجةِ حمايةُ أولادِها من البرامجِ التلفزيونيـةِ المُخصصـةِ للكبـارِ ، والـتي تعـْرِضُ لمشكـلاتٍ جنسيةٍ ، أو قصصٍ عنيفةٍ ، أو سلوكٍ ساقطٍ . وكذلك عليها أن تقيَ أولادَها شرورَ الشارعِ وما فيه ومَن فيه من رفاقِ السُّوءِ ، وتـُنفـِّرَهم منهم . وفي الوقتِ نفسِه تـُحببُهم في الصالحين المهذبين من الأولادِ ، ليلعبوا معهم . ولا بد للزوجةِ أن تشغَلَ أولادَها بأعمالٍ مفيدةٍ مناسبةٍ لسِنِّ كلِّ واحدٍ منهم . ويساعدُها زوجُها في شَغلِ الصبيانِ بأعمالٍ مُساعدةٍ للأسرةِ ، وبالقراءةِ والرياضةِ . هذا طبعاً إلى جانبِ الصلاةِ في المسجدِ وحفظِ القرآنِ الكريمِ .

(الدعاء)

الزواج الشرعي والزواج غير الشرعي

● **الغاية من الخطبة** : حث الناس على الزواج الشرعيِّ ونَهيهم عن الزواج غير الشرعيِّ .

● **العناصر الأساسية :**

(١) الإسلام يحثُّ على الزواج .

(٢) غايات الزواج الشرعي وشروط صحته .

(٣) انتشار صور من الزواج غير الشرعي وأسبابه .

(٤) العلاج .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) الإسلامُ يحثُّ المسلمينَ على الزواجِ لِما يوفِّرُه من حَصانةٍ للفروجِ ، وطهارةٍ للأمةِ والمجتمعِ ، وحِفظٍ لنَوْعِ الإنسانِ وتكثيرٍ لأفرادِه ، لكي تستمرَّ الحياةُ ويَعْمُرُ الكونُ . فيقولُ اللهُ ﷻ ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ (النساء:٣) ويقولُ الرسولُ ﷺ : «يا مَعشرَ الشبابِ ! مَن استطاعَ منكم الباءة فلْيتزَوَّجْ ، فإنه أغَضُّ للبَصرِ وأحْصَنُ للفَرْجِ». والإنسانُ السَّويُّ يستجيبُ للأوامرِ القرآنيةِ والحديثيةِ ، لأنَّ فِطرَتَه نفسَها تدفعُهُ إلى الزواجِ . والإعْراضُ عن الزواجِ لغيرِ سببٍ معقولٍ شذوذ ؛ وهو يدلُّ على فسادِ المَرءِ وسُوءِ سُلوكِه . لكنَّ بعضَ الناسِ من الرجالِ والنساءِ لديهم أعذارٌ حقيقيةٍ تمنعُهم من الزواجِ ؛ فهؤلاءِ لا لومَ عليهم . فماذا يفعلُ الرجلُ الذي حَرمَه اللهُ من الرغبةِ الجنسيةِ ؟ وماذا يفعلُ الإنسانُ المُعدَمُ الذي لا يستطيعُ أن يُنفِقَ على نفسِه ويعيشَ عالةً على غيرِه ؟ وماذا يفعلُ المَرضَى بأمراضٍ مُستعصيةٍ لا يُرْجَى البُرْءُ منها ؟ ولهذا قررَ الفقهاءُ أن

الزواجَ فَرضٌ أو مندوبٌ للقادرينَ عليه ، لتفاوُتِ القُدْراتِ ، ومَكروه أو مُحرَّم على غيرِ القادرينَ عليه . ولهذا وجَدْنا علماءَ وفقهاءَ لم يتزوَّجوا ، لأن لديهم أعذاراً شرعيةً . وبناءً على هذا لا يجوزُ أن نَجبُرَ إنساناً على الزواجِ دون أن نتحققَ من ظروفِه . ومعلومٌ لنا جميعاً أنَّ الزواجَ هو الطريقُ الآمنةُ الطاهرةُ لاتصالِ الرجالِ بالنساءِ ، وإنجابِ الأجيالِ الجديدةِ لإعمارِ الكون ، والابتعادِ عن الزنا والفحشاءِ . وهاهي المجتمعاتُ غيرُ الإسلاميةِ التي اسْتهانَتْ بالزواجِ وفرَّطتْ فيه وسَمحَتْ لأبنائها بالاتصالِ الجنسيِّ خارجَ نطاقِ الزواجِ ، هاهي تُعاني من وَيلاتِ أولادِ الحرامِ الذين لا يُعرَفُ لهم آباءٌ ، وقد بلغَتْ نِسْبَتهم في بعضِ البلادِ أكثرَ من خمسينَ في المائةِ؛ وتُعاني من هؤلاءِ الأولادِ حين يكبرون ويصيرون حاقدين على المجتمعِ الذي حرَمَهم من أهمِّ حقوقِ الأطفالِ : من الأسرةِ وعَطفِها وحنانِها وحُبِّها ، ورعايتِها . وكثيرٌ من أولادِ الحرامِ يُصبحون مجرمين خَطرين . ولذلك تُعتبَرُ الجريمةُ في أوربا وأمريكا من أخطرِ المشكلاتِ التي تُقلِقُ المجتمعَ وتُهدِّدُ أمْنَ الناسِ في دِمائهم وأموالِهم . وانتشارُ الزنا أدَّى إلى انتشارِ مرضِ « نقصِ المناعةِ الإيدز» الذي ينتقلُ بالعَدوى من خلالِ المُعاشَرَةِ الجنسيةِ . والمرأةُ العاهرُ إذا أُصيبَتْ به ، فإنها تنقلُه إلى كلِّ مَن يُعاشِرُها .

(٢) والقرآنُ الكريمُ يُبيِّنُ لنا غاياتِ الزواجِ الشرعيِّ فيقولُ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١) فهذه الآيةُ الكريمةُ تقررُ أن غاياتِ الزواجِ هي : السَّكنُ والمودةُ والرحمةُ بين الزوجيْن . وهذه الغاياتُ الكبرى تشملُ كلَّ طيباتِ الحياةِ ومُتَعِ الدنيا . وهذه الغاياتُ لا تتحققُ إلا باسْتيفاءِ شروطِ الزواجِ الشرعيِّ . وهذه الشروطِ هي :

● شرطُ الرضا ، أي رضا الرجلِ ورضا المرأةِ . ولا يجوزُ إجبارُ أحدِهما على الزواجِ من الآخر . فإنَّ ذلك لا يحققُ شرْطَ الرضا؛ وهو شرطٌ أساسيٌّ لصحةِ عَقدِ

الزواجِ ، وبدونه لا يكونُ الزواجُ زواجاً شرعياً . والحق أن كلَّ المعاملاتِ الإسلاميةِ لا تكونُ شرعيةً إلا بشرطِ الرضا أو التراضِي بين أطرافِ العَقدِ . لكنَّ الإسلامَ أجازَ للأبِ أن يُزوِّجَ ولدَه الصغيرَ أو ابنتَه الصغيرةَ ؛ لأن الأبَ قد يجدُ في ذلك فائدةً كبيرةً لولدِه ، وهي تفوتُ عليه إن لم يُزوِّجْهُ . ويكونُ الولدُ ـ أو البنتُ ـ في سنٍّ لا تسمحُ له بأن تكونَ له إرادةٌ رشيدةٌ حقيقيةٌ ، لصِغرِ السِّنِّ وعدمِ الخِبرةِ . وهذا هو الاستثناءُ الوحيدُ من شرطِ رضا الرجلِ والمرأةِ . بل إنَّ شرطَ رضا الوالدَيْن مندوبٌ أيضاً ؛ وهو ضَمانةٌ لنجاحِ الزواجِ . ونحن أهلَ السُّنة بحَمدِ اللهِ نطلبُ من كلِّ مَن يتقدَّمَ لخِطبةِ امرأةٍ أن يأتي بأهلِه معه ، لنتأكدَ من رضاهم . وقليلٌ منا يُفرِّطُ في هذا الطلبِ . وذلك خطأٌ ، وعواقبُه ضارةٌ ؛ فالمصاهرةُ تكونُ بين أسرتَيْن لا بين شخصَيْن أو شخصٍ وأسرةٍ .

● ومعظمُ الفقهاءُ يشترطُ وجودَ وَليٍّ للزوجةِ ، ويُعتَبرُ ذلك شرطاً لصحةِ العقدِ ، أو لإتمامِ صحتِه ، كمَالكٍ والشافعيِّ ، لقولِ رسولِ اللهِ ﷺ : «أيُّما امرأةٍ نكحتْ بغيرِ إذنِ وليِّها فنِكاحُها باطلٌ ـ ثلاثَ مراتٍ . وإن دَخلَ بها فالمهرُ لها بما أصابَ منها . فإن اشتَجَروا فالسلطانُ وليُّ مَن لا وَليَّ له». والقرآنُ الكريمُ يُخاطبُ الأولياءَ فيقولُ ﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ (البقرة:٢٢١) فالوليُّ هو الذي يُنكحُ وليَّتَه . والولايةُ للأبِ ، ثم «الأخوةِ للأبِ والأمِّ» ثم الأعمامِ والأخوالِ والأجدادِ وذلك على خلافٍ بين المذاهبِ .

● والشرطُ الثاني هو المهرُ . ولا مانعَ أن يكونَ قليلاً ، ولكنَّ من حقِّ الوليِّ أن يشترطَ مهراً لوَليَّتَه لا يقلُّ عن مَهرِ مِثلِها . وإذا عُقِدَ العَقدُ في غيابِه ، يجوزُ له فَسْخُه إذا قلَّ عن مَهرِ مِثلِها .

● ويُشترَطُ وجودُ شاهِدَيْ عَدْلٍ . ولا يجوزُ توصيتُهما بكتمانِ خبرِ الزواجِ ، لأنَّ الإعلانَ مطلوبٌ . لكيلا يُنكِرَ أحدُ الطرفينِ وقوعَ الزواجِ .

(٣) ومن المؤسفِ أن نلاحظَ انتشارَ أنواعٍ من الزواجِ غيرِ الشرعيِّ بين أبناءِ المسلمين هذه الأيامِ . فقد استحلَّ بعضُ الناسِ الزواجَ العُرْفيَّ . وعدمُ شرعيةِ الزواجِ العُرفيِّ سببُه عدمُ تسجيلِ الزواجِ رسمياً . والتسجيلُ هو الضمانُ لحقوقِ الزوجِ والزوجةِ والأولادِ والمجتمعِ . وحجةُ الذين أجازوا الزواجَ العُرفيَّ هو أن التسجيلَ شرطٌ جديدٌ ، وأن أجدادَنا تزوجوا دون تسجيلٍ . والردُّ على ذلك هو أن التسجيلَ إنما اشتُرطَ لمنعِ أضرارٍ كثيرةٍ . فقد كان الرجلُ يتزوجُ في بلدٍ ، وبعد مدةٍ يتركُ زوجتَه ويرحَلُ إلى بلدٍ آخرَ ، ولا تعلمُ الزوجةُ عنه شيئاً ، وتبقى مُعلَّقةً في انتظارِه ، ثم تضطرُّ إلى اللجوءِ إلى القضاءِ طلباً للطلاقِ . وهذا تعذيبٌ شديدٌ للنساءِ . ويُضافُ إلى ذلك عِبءُ الأولادِ الذين يفتقدون أباهم وعائلَهم ، ويتشردون . فجاءَ التسجيلُ الرسميُّ ليضعَ حدوداً لتلك المآسي . وقد نجحَ إلى حدٍّ كبيرٍ ، وصارَ عُرْفاً عاماً مقبولاً في كلِّ البلادِ المسلمةِ وغيرِ المسلمةِ أيضاً . وبهذه المواصفاتِ يصيرُ العُرفُ شرعياً ، ولا يجوزُ تركُه . وعلى هذا كان حُكمُ الزواجِ العُرفيِّ (الذي يستوفي كلَّ الشروطِ ما عدا التسجيلِ) الجوازُ ، ولكنه يُمنَعُ شرعاً لما يترتبُ عليه من ضَررٍ . وهذا هو ما قرَّرَه القانونُ المصريُّ الأخيرُ .

● وسمعنا عن بعضَ الشبابِ الذين يتزوجون زواجَ الهِبَةِ ! و زواجُ الهِبَةِ خاصٌّ برسولِ اللهِ وَحدَه ﷺ ، لقولِ اللهِ تعالى ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأحزاب:٥٠) فهؤلاءِ يمارسون الزنا باسمِ زواجِ الهِبةِ !

● وسمِعْنا عن زواجِ المِسْيارِ . وهو زواجٌ تتنازلُ فيه الزوجةُ عن حقِّها في النفقةِ ، وبيتِ الزوجيةِ ، وتعيشُ مع أهلِها ، ويزورُها الزوجُ من حينٍ إلى حينٍ ، لأنَّ له بيتاً آخرَ وزوجةً أخرى ، يعيشُ معها . وهذا الزواجُ مَوضعَ خِلافٍ بين الفقهاءِ لأنه يَستوفي شروطَ الزواجِ ، ولا يُحققُ غاياتِه من السَّكنِ والمودةِ والرحمةِ . والمرأةُ ترضَى به مُرغَمةً ، تجنُّباً للعنوسةِ . ففيه ظلم لها ، لأنها لاتحصلُ على النفقةِ

الواجبةِ . وقد يُنفقُ الزوجُ على الزوجةِ ، ويحاولُ تعويضَها عن البيتِ ، وبذلك يزيلُ بعضَ الظلمِ الذي يقعُ عليها . يعني هناك فروقٌ بين الأزواجِ .

● وهناك أصناف من الزواجِ غيرِ الشرعيِّ يجبُ الابتعادُ عنها ، وهي :

- زواجُ الشِّغَارِ ـ أي الزواجُ بدون مهرٍ ، كأن يزوِّجَ الرجلُ وَلِيَّتَه لآخرَ ، مقابلَ أن يُزوِّجَه الآخرُ ابنتَه أو أختَه مثلاً ، بدون مَهرٍ !

- ومن ذلك زواجُ المُتعةِ ـ وهو الزواجُ الذي تُحدَّدُ مُدتَه ، وينتهي بانتهائها .

- ومن ذلك زواجُ المُحلِّلِ ، وهو تحايلٌ على شرعِ اللهِ لاستعادةِ البائنةِ المطلقةِ ثلاثاً .

- وقد يخطِبُ المسلمُ امرأةً ، فيأتي آخرُ ويخطِبُها على خِطبةِ الأولِ فيكونُ زواجُه منها باطلاً .

- وكلُّ هذه الأصنافِ غيرِ الشرعيةِ سببُها التهرُّبُ من المسئولياتِ الماليةِ أو الاجتماعيةِ أو الأخلاقيةِ أو الرسميةِ . والأمثلةُ كثيرةٌ ومعروفةٌ لنا جميعاً .

(٤) والعلاجُ هو : توعيةُ المسلمين بأنَّ الزواجَ الشرعيَّ هو السبيلُ إلى الحياةِ السعيدةِ الطاهرةِ ، وإلى السَّكنِ والمودةِ والرحمةِ ، وتربيةِ الأولادِ في بيئةٍ مستقرةٍ هادئةٍ . وأما الزواجُ غيرُ الشرعيِّ فبعضُه زناً صريحٌ ـ كزواجِ الهِبةِ ـ وبعضُه جائزٌ لكنه ممنوعٌ لأضرارِه ، وبعضُه ظالمٌ ، والظلمُ محرَّمٌ في الإسلامِ تحريماً باتاً .

(الدعاء)

مَسائل حول الحَج

● **الغاية من الخطبة** : تصويب بعض المفاهيم الخاصة بالحج (وليس أداء الشعائر) .

● **العناصر الأساسية :**

(١) الاستطاعة وكيف نحققها .

(٢) حج النَّفل .

(٣) اقتراحٌ للإنفاق المالي في أوجه الخير .

(٤) الحج الصحيح . . كيف يكون ؟

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يعلمُ المسلمون جميعاً أن الحجَّ رُكنٌ من أركانِ الإسلامِ . فنريدُ اليومَ أن نُصحِّحَ بعضَ الأخطاءِ الشائعةِ حولَ هذه الفريضةِ الإسلاميةِ الكبرى . يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٧) ويقولُ ﷻ ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج:٢٧) فالحجُّ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ مُستطيعٍ ، أي على كلِّ قادرٍ على أداءِ هذه الفريضةِ من جميعِ النواحي الماليةِ والبدَنيةِ والاجتماعيةِ . ولكن كيف نَصلُ إلى الاستطاعةِ ؟ إنَّ كلَّ مسلمٍ يجبُ أن يسألَ نفسَه هذا السؤالَ المهمَّ ، وأن يجيبَ عليه . وسوف يظهرُ له أنه واحد من خَمسةِ أصنافٍ أو فئاتٍ :

- فهناك فئةٌ من الناسِ لديها الاستطاعةُ ، ولكنها لا تؤدِّي الفريضةَ . والأسبابُ الحقيقيةُ لذلك قد تكونُ البُخلَ والشُّحَّ ؛ وقد تكونُ كثرةَ المشاغِلِ الدنيويةِ من

تجارةٍ أو صناعةٍ أو غيرِ ذلك . وقد يكونُ ضَعفُ الإيمانِ والعياذُ باللهِ هو السَّببَ . ولكنَّ المَرْءَ لا يعترفُ صراحةً بالأسبابِ الحقيقيةِ لعدمِ الحجِّ . وهذه الفئةُ يجبُ أن تحذَرَ غضبَ اللهِ عليها ، وتتذكرَ قولَه تعالى ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٧) فإنَّ مَن يستطيعُ الحجَّ ولا يريدُ أن يَحُجَّ هو المخاطَبُ بهذا الشَّطرِ من الآيةِ الكريمةِ وهو خطابٌ شديدٌ جداً ، وتهديدٌ وتحذيرٌ يُحرِّكُ الجبالَ !

- وهناك فئةٌ من الناسِ تستطيعُ تكوينَ الاستطاعةِ ، ولكنها تبَدِّدُها أولاً بأول . فتجدُ الرجلَ يحصلُ على دَخلٍ شهريٍّ كبيرٍ ، ولديه القدرةُ على الادِّخارِ بحيثُ يستطيعُ توفيرَ نفقاتِ الحجِّ في عامٍ أو اثنينِ أو ثلاثةٍ ، لكنه مُبذِّر في الطعامِ والشرابِ والفراشِ ، في الحلالِ منها والحرامِ . فكيف يَدَّخِرُ شيئاً للحجِّ ؟ إنه لا يُفكِّرُ في الحجِّ أصلاً ، ولا يتذكرُ أنه مسلمٌ وأنَّ الحجَّ رُكنٌ من أركانِ دينِه ، وأنه واجبٌ عليه . إنه غارقٌ في التبذيرِ والإسرافِ ، واللهُ تعالى يقولُ ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ (الإسراء:٢٧) فهذه الفئةُ تُعتَبرُ مُستطيعةً للحجِّ ، ولكنها تُبدِّدُ الاستطاعةَ أولاً بأولٍ . وهذا إثمٌ عظيمٌ . لأنَّ التبذيرَ من الكبائرِ . ومن نتائجِه العَجْزُ عن الاستطاعةِ .

- وهناك فئةٌ من الناسِ لا تستطيعُ الحجَّ فعلاً . ولا تستطيعُ الادِّخارَ لضَعفِ دخولِهم وكثرةِ مستولياتِهم . وهؤلاءِ هم الذين تسْقطُ عنهم فريضةُ الحجِّ طالما كانوا عاجزين عن أدائها ، فإذا يَسَّرَ اللهُ لهم الاستطاعةَ وَجَبَتْ عليهم الفريضةُ .

- وهناك فئةٌ من الناسِ تستطيعُ الحجَّ ، وتؤديه الأداءَ الشرعيَّ السليمَ ، بدون تسويفٍ أو مراوغةٍ .

(٢) وأخيراً هناك فئةٌ غنيةٌ تؤدِّي الحجَّ نَفلاً ، مراتٍ عديداتٍ ، بعد أن أدَّتْه فرضاً . وهذه الفئةُ فيها مَن يَحجُّ بنِيَّةِ العبادةِ والطاعةِ الصادقةِ . وفيها مَن يكررُ الحجَّ للتجارةِ أو لملءِ الفراغِ أو التسليةِ والسياحةِ . ونظراً لضخامةِ أعدادِ الحُجاجِ هذه الأيامِ ـ حواليْ مليونيْن ! ـ فإنَّ العلماءَ ينصحونَ المسلمين بالاكتفاءِ بالحجِّ مرةً

واحدةً ، لإفساحِ المجالِ لإخوانِهم . ولْنتذكَّرْ أنَّ النبيَّ ﷺ حجَّ مرةً واحدةً واعْتمرَ أربعَ مراتٍ . فمَن تاقَتْ نفسُه للصلاةِ في الحرمَيْن الشريفَيْنِ ، له أن يكررَ أداءَ العمرةِ ، وزيارةُ المسجدِ النبويِّ الشريفِ في المدينةِ المنورةِ . ولْنتذكَّرْ أنَّ شدةَ الزحامِ لها أضرارٌ وخيمةٌ :

● فقد هلكَ عددٌ من الحجاجِ عند رَميِ الجمارِ في الأعوامِ الماضيةِ بسببِ التدافعِ الشديدِ وسقوطِ الضعفاءِ من الشيوخِ والنساءِ . وقُتِلَ عددٌ كبيرٌ في حوادثِ الطرقِ ، وبسببِ الحرائقِ التي اجتاحَتْ «مِنى» وأحرقتْ الخيامَ .

● ولا رَيبَ أن الزحامَ يجعلُ تنظيمَ الحجِّ عسيراً جداً . ولذلك تحدُثُ فوضَى لا حدودَ لها في أثناءِ الطوافِ والسَّعي ، وفي الموانئِ والمطاراتِ والمعسكراتِ . وهذه الفوضى تُسببُ متاعبَ كثيرةً للحجاجِ ، وخصوصاً الشيوخِ والنساءِ . وهي تسيءُ إلى المسلمين في العالمِ . والتلفازُ ينقلُ الصورَ في كلِّ مكانٍ : في مكةَ المكرمةِ ، وفي «مِنى» ، وعرفةٍ ، وفي الطريقِ إلى «مِنى» وعرفةٍ ، وفي أثناءِ رَمْي الجمارِ وفي كلِّ مكانٍ .

● وبسببِ الزحامِ من حجاجِ النَّفلِ يَفسَدُ حجُّ بعضِ الناسِ ، لأنهم يفقدون السيطرةَ على انفعالاتِهم ، فيسبُّون إخوانِهم الحجاجَ أو يضربونهم أو يدفعونهم بعنفٍ ، بدلاً من مُعاونَتِهم ومساعدةِ الضعفاءِ منهم من النساءِ والأطفالِ والشيوخِ . واللهُ تعالى يقولُ ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة:١٩٧) وفِعْلُ الخيرِ يُحتِّمُ مساعدةَ الحجاجِ لا أذاهم وضَربَهم !

● وهناك خطرٌ آخرَ من جرَّاءِ حجِّ النَّفلِ المتكررِ ، إذْ نسمعُ أحياناً نغَمةَ الفَخرِ من البعضِ حين يقولُ أحدُهم ـ مثلاً ـ «أنا حججتُ سبعَ مراتٍ ! ! !»

(٣) لهذه الأسبابِ يقررُ كثيرٌ من العلماءِ أن الإنفاقَ على المحتاجين من المسلمين أفضَلُ ؛ هذا ما قاله شيخُ الإسلامِ ابن تيمية ، ويقولُه اليومَ كثيرٌ من

علماءِ المسلمين . فالعباداتُ الماليةُ لها ثوابُها العظيمُ في حكمِ الإسلامِ . والمسلمونَ اليومَ في أمسِّ الحاجةِ إلى الأموالِ للنهوضِ بالدعوةِ الإسلاميةِ . وقد أفتَى الشيخُ رشيد رضا رحمه اللهُ بجوازِ إنفاقِ جزءٍ من أموالِ الزكاةِ المفروضةِ على هذا العملِ الشريفِ . وكثيراً ما نسمعُ عن المجاعاتِ والحروبِ والزلازلِ والأوبئةِ في العالمِ الإسلاميِّ . فلْيتبَرَّعْ مَن شاءَ الثوابَ وأرادَ مَرضاةَ اللهِ لهذه الأغراضِ الساميةِ بَدَلاً من طلبِ العَونِ من الدولِ والمؤسساتِ الأجنبيةِ . وقد تكونُ هناك جمعياتٌ للحجِّ ، وهي تحتاجُ إلى الأموالِ لمساعدةِ أعضائها على أداءِ فريضةِ الحجِّ . وكثيرٌ من الأممِ المسلمةِ تقاتلُ الاستعمارَ حتى الآن ، مثلَ الشعبِ الفلسطيني وشعبِ الشيشان وشعبُ كشمير الذي يجاهدُ ضد الهندِ الوثنيةِ من عُبَّادِ الأبقارِ .

(٤) وبعضُ الحجاجِ يكررُ الحجَّ لأنه يشكُّ في صحةِ أدائهِ للشعائرِ في الحجةِ الأولى . والحقُّ أن عدداً كبيراً من الحجاجِ يذهبُ لأداءِ الفريضةِ وهو لا يعلمُ عن الشعائرِ إلا أقلَّ القليلِ . فنفقةُ الحجِّ قد تكون من كَسْبٍ حرامٍ . وقد يكون الحاجُّ مهملاً إيتاءَ زكاةِ مالِه المفروضةِ . وربما كانت نيَّتَه «زيارة الحبيب النبي !» في المدينةِ ، كما يقولُ الجُهلاءُ . وبعضُ الحجاجُ يرتكبُ أصنافاً من الفُسوقِ وهو مُحْرِمٌ ، من ذلك مثلاً التدخينُ ، وإيذاءُ إخوانِه الحجاجِ والمشاجراتُ معهم في الطريقِ وفي «منى» وعرفاتٍ ، ومخاصمَتُهم ، بل وضَربُهم ! وبعضُ الحجاجِ لا يكفُّ عن اللغوِ والجدالِ والمِراءِ . وكثيرٌ منهم يستطيعُ معاونةَ الضعفاءِ منهم ، ولكنه يتقاعسُ عن ذلك ولا يهتمُّ إلاَّ بنفسِه . وقد رأيتُ بعضَ الحجاجِ يكشِفُ كَتِفَه في مطارِ القاهرةِ ، وهو ما يُسمَّى «الاضْطِباعِ»؛ وبدايتُه الشرعيةُ عند بدايةِ الطوافِ ، ولمدةِ الثلاثةِ الأشواطِ الأولى ، وفيه يكشفُ الحاجُّ كَتِفَه وذِراعَه الأيمنَ ، ويجعلُ الرِّداءَ تحتَ إبطِه ، ثم يُهرْولُ (وهو ما يُسمَّى الرَّمَل). وعلاجُ هذه الأخطاءِ والشكوكِ يسيرٌ سهلٌ بدراسةِ الشعائرِ جيداً قبلَ الحجِّ ، وتعيين مُشرفين شرعيين لإرشادِ الحجاجِ ومرافقتِهم .

(الدعاء)

دُروسٌ من غَزْوَةِ الأحْزاب

● **الغاية من الخطبة** : تبصير الناس بحقيقة الحِلْف الدائم بين : اليهود والمنافقين والملحدين ، ونقضِ اليهودِ لعهودهم .

● **العناصر الأساسية** :

(١) تحالف اليهود والمنافقين والمشركين في عهد النبي ﷺ كما هو وَضْعُهم الآن .

(٢) هزيمة حِلْـف اليهود والمنافقين والمشركين .

(٣) اليهودُ وخياناتُـهم للنبي ﷺ والمسلمين .

(٤) وقاعدة « لا اجتهادَ مع وجود النَّص » كما طبَّقها الصحابة في تلك الغَزوة .

(٥) ودروسٌ في تطبيق الشورى التي أمرَ بها القرآن الكريم .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) السيرةُ النبويةُ الشريفةُ كنزٌ ثمين من العِبَرِ والعِظاتِ والدروسِ والعقائدِ والحقائقِ . ومن واجبِ المسلمين أن يدرُسوها دراسةً شاملةً دقيقةً . ويجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يشتري كتبَ السيرةِ الشريفةِ لأولادِه . وفي المكتباتِ الكثير منها ؛ وفي المكتباتِ كتبٌ تُناسبُ كلَّ الأعمارِ تحكي للأولادِ سيرةَ رسولِ اللهِ ﷺ . فبدلاً من الرواياتِ الخرافيةِ التي ليس فيها شيءٌ مفيدٌ للأولادِ ، لا فـي الديـنِ ولا في الدنيا ، علينا أن نشتريَ كتبَ السيرةِ لأنفسِنا ولأولادِنا ، ليعرفوا نبيَّهم العظيمَ ، وجهادَ الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم .

- ولعلَّ الدرسَ الأولَ في غَزوةِ الأحزابِ هو : تحالفُ اليهودِ والمشركين والمنافقين ضد المسلمين ، وتكرارُ ذلك التحالفِ على امتدادِ التاريخِ . وهاهمُ اليهودُ يتحالفون مع المشركين ، في عهدِ النبيِّ ﷺ . فقد كانت قريشٌ تشعرُ بمرارةِ

الهزيمةِ التي لَحِقَتْ بها في «بَدرٍ». وكانوا يفكرون في الانتقامِ ، ويَعُدُّون العُدَّةَ لذلك ، وسافرَ إليهم زعماءُ يهودِ المدينةِ وتحالَفوا معهم على القضاءِ على الإسلامِ والمسلمين ، وحاولوا جمعَ القبائلِ العربيةِ وحَشدَها في جيشٍ عَرَمرَمٍ ، ثم جاءوا إلى المدينةِ وحاصروها . وحاولوا الاتصالَ بالمنافقين في داخلِ المدينةِ لمساعدتِهم ، ولكنَّ النبيَّ ﷺ كان قد استبعدَ المنافقين بعيداً عن رجالِه المخلصين ، وبذلك أحْبَطَ خِطَتَهم ، فلم يستطيعوا عملَ شيءٍ يُذكَر . وظلَّ الحِصارُ مَضروباً حولَ المدينةِ حوالي ثلاثةِ أسابيعَ ، دون أن يستطيعوا اختراقَ «الخندق» الذي حفرَهُ المسلمون حولَ المدينةِ . وحاولَ يهودُ بَني النَّضيرِ ـ وهم إحْدَى القبائلِ اليهوديةِ التي كانت تسكنُ المدينةَ ـ إغراءَ قبيلةٍ يهوديةٍ أخرى (هم بنو قُرَيظَةَ) لكي يخونوا الرسولَ وينقضُوا عهدَهم معه ، ويسمَحوا لهم بمهاجمةِ المسلمين من الخلفِ ، عَبْرَ مساكنِ بني قُرَيظة . وخانَت بَنو قُريظةَ عَهدَها وتحالَفَت مع المشركين . وأرسلَ إليهم النبيُّ ﷺ سعدَ بن معاذٍ وسعدَ بن عُبادة ليتأكدا من الأخبارِ ، فأعلنَتْ قُريظةُ خِيانتَها وأغلظوا القولَ للسَّعديْنِ وشَتَموهما .

(٢) ولكنَّ اللهَ تعالى ينصرُ مَن يشاءُ بحَولِهِ وقوَّتِه ، فأرسلَ الرِّيحَ القويةَ العنيفةَ فاقتلعَتْ خيامَ الغزاةِ المُعتدين ، ومزَّقَتهم شرَّ مُمزَّق . ويصفُ القرآنُ الكريمُ ذلك المَشهدَ العظيمَ فيقولُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب:٩) ويقولُ في تصويرِ مَوقفِ المنافقين ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (الأحزاب:١٢،١٣) يريدونَ بذلك تدميرَ الروحِ المعنويةِ لدَى المقاتلين ، وقد ظنوا أن النصرَ سيكونُ للمشركين واليهودِ ، ولن يتحققَ وَعدُ اللهِ ورسولِه بالنصرِ . ولذلك يريدون الهربَ ، ويريدون تحريضَ المسلمين أيضاً على الفِرارِ ، ويدَّعون أن بيوتَهم مَكشوفةٌ للعَدوِّ ، ولم تكنْ

مَكشوفةً في الحقيقةِ . وصَمدَ المسلمون ، واختلفَ اليهودُ مع المشركين ، وجاءَتْ الريحُ لتُجْهِزَ عليهم ، فانسحَبوا مَهزومين خائبين .

(٣) ولم تكنْ خيانةُ بني قُريظةَ هي الأولى ، ولا الأخطرَ . فعِندما هاجرَ النبيُّ إلى المدينةِ كان يأملُ في هِدايةِ اللهِ لليهودِ فيُسلِموا أو يكونوا مع المسلمين ضد المشركين . وقد عقدَ معهم مُعاهدةً ليكونوا مع المسلمين ويكون المسلمون معهم؛ لكنهم سَرْعَان ما نقَضوها . وكانت قبيلةُ بني قَينُقاع اليهوديةُ أوَّلَ مَن نقضَها . ذلك أن صائغاً يهودياً أرادَ امرأةً مسلمةً على أن تكشِفَ وجهها ، فرفضَتْ . فعَمَدَ الصائغُ اليهوديُّ الذي كانت تجلسُ أمامَ دكانِه إلى طَرْفِ ثوبِها فعَقدَهُ إلى ظهرها ، فلما قامَتْ انكشفَتْ سَوءَتُها ، فضحِكَ اليهوديُّ منها . وفَزعَتْ المرأةُ المسلمةُ من هَوْلِ المفاجأةِ ، فصرخَتْ ، وجاءَ رَجلٌ مسلمٌ لِنجدَتِها ، فانقضَّ على الصَّائغِ اليهوديِّ فقتلَه ؛ وتجمَّعَ اليهودُ ضد الرجلِ المسلمِ وقتلوه . ووقعَتْ الحربُ بينهم وبين المسلمين بسببِ ذلك ، وهزمَهم اللهُ شرَّ هزيمةٍ . وأما بَنو النَّضيرِ فدَبَّروا مؤامرةً لقتلِ النبيِّ ﷺ . فقد ذهبَ إلى ديارِهم ـ وهم حُلفاءُ له ـ ليطلبَ المساعدةَ في دفعِ دِيَةِ قتيلَيْن من بَني عامرٍ . وتظاهَروا بالموافقةِ على المساعدةِ . وقد جلسَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى جَنبِ جدارٍ من بيوتِهم ، وأرادوا استغلالَ الفرصةَ لقتلِه بإلقاءِ حَجرٍ عليه . وانتدَبُوا لذلك رجلاً منهم اسمُه عمرو بن جِحاش . ولكنَّ اللهَ تعالى أخبرَ رسولَه بالمؤامرةِ ، فقامَ مُسرعاً إلى المدينةِ . وبعد ذلك حارَبَهم وطرَدَهم من المدينةِ . وقد ذكرْنا خيانةَ بَني قُريظةَ حين تحدثْنا عن غَزوةِ الأحزابِ وهي نفسها غزوةِ الخندق . وهكذا كان اليهودُ دائماً . وهم اليومَ يَعقِدون الاتفاقياتِ مع العربِ ، ثم لا يلبَثون أن ينتهكوها دون خجلٍ أو حياءٍ .

(٤) ومن دروسِ غَزوةِ الأحزابِ أيضاً أنه «لا اجتهادَ مع النصِّ» ـ يعني لا مجالَ للأخذِ برأيِ أحَدٍ إذا كانت المسألةُ محكومةٌ بآيةٍ قرآنيةٍ أو بحديثٍ شريفٍ. ففي هذه الغَزوةِ أرادَ النبيُّ ﷺ أن يُفرِّقَ حِلفَ الشرْكِ ، فأرسلَ إلى قبيلةِ غَطَفانَ يُفاوضُها لكي تنسحبَ من الحِلفِ مُقابلَ ثُلُثِ تَمْرِ المدينةِ . ولمَّا علِمَ زعماءُ

المدينةِ بما حدثَ جاءوا إلى النبيِّ ﷺ وسألوه إن كان ما رآهُ مُجرَّدَ رأيٍ أم هو وَحْيٌ من عندِ اللهِ . فلما أخبرَهم أنه كان مجردَ رأيٍ ، تكلموا معه وأظهروا وُجهةَ نظرٍ مختلفةً ، وقالوا إنهم لن يُعطوا غَطفانَ تَمرةً واحدةً إلا بثمنِها ، أو ضيافةً إذا استُضافوهم يوماً . ونحن اليومَ في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى تعلُّمِ هذا الدرسِ .

(٥) وفي هذه الغَزوةِ دَرسٌ في تطبيقِ الشورى التي أمرَ بها القرآنُ الكريمُ . أولاً : في حَفرِ الخندقِ بحسبِ مَشورةِ الصحابيِّ الجليلِ سَلمانَ الفارسيِّ . ولم يكنْ العربُ يعرفون حَفرَ الخنادقِ . وكان الخندقُ أحدَ أسبابِ النصرِ ، لأنَّ المشركين وقفوا أمامَه عاجزين عن اقتحامِه أو تخطيهِ لمدةِ ثلاثةِ أسابيعَ ، حتى نفدَ زادُهم فلم يجدوا ما يأكلون ، ونفدَتْ الأعلافُ التي تتغذى عليها الجمالُ والخيلُ . ومرةً أخرى شاورَ النبيُّ ﷺ السَّعديْن في مسألةِ الاتفاقيةِ التي كان يُوشِكُ أن يَعقِدُها مع غَطفانَ ، ورفضَها السَّعدان كما سبقَ أن ذكرْنا ، ولم يغضبْ النبيُّ منهما ولم يعتبرْ رفضَهما معصيةً له أو إحراجاً . وهذا هو التطبيقُ النبويُّ النبيلُ لقولِ اللهِ تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران:١٥٩) ونحن في أمسِّ الحاجةِ إلى احترامِ الشورى ، والأخذِ بالرأيِ الصائبِ . أمَّا إذا كان هناك نصٌّ يحكمُ المسألةَ فلا مكانَ للشورى ولا مكانَ للرأيِ . فإذا قالَ اللهُ تعالى ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴾ (النساء:٧) فلا رأيَ ولا شورى في المسألةِ .

(الدعاء)

الغَـيْرَةُ الرَّشيـدَةُ

● **الغاية من الخطبة :** حَثُّ الناسِ على الغَيرةِ الرشيدة ونَهيُهم عن الغَيرةِ الضَّالة .

● **العناصر الأساسية :**

(١) أمثلة واقعية للغيرة غير الرشيدة .

(٢) الغيرةُ الرشيدةُ في السُّنة النبوية (وحديث الإفْكِ) .

(٣) الغَيرة في سير الصحابة .

(٤) عَلامَ يجب أن نغار ؟

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) هذه مشكلةٌ اجتماعيةٌ واقعيةٌ ، يختلطُ فيها الصوابُ والخطأُ ، ويضلُّ فيها كثيرٌ من الناسِ وهم يَحسَبون أنهم يُحسِنون صُنعاً . ونسمعُ ونقرأُ في الصحفِ اليوميةِ أخباراً مؤسفةً عن حوادثِ قتلٍ بسببِ الغَيرةِ . فهذا رجلٌ يقتلُ رجلاً لأنه عاكسَ أُختَه في الطريقِ . وهذا أبٌ يقتلُ ابنتَه لسُوءِ سلوكِها ، وهي بريئةٌ من ذلك ، والأمرُ كلُّه مجرَّدُ شائعاتٍ . وهذه زوجةٌ تضعُ السُّمَّ في طعامِ زوجِها لأنها سمعَتْ أنه سوف يتزوَّجُ عليها امرأةً أخرى . وقصصٌ عديدةٌ من هذا النوعِ تُـرَوِّعُنا كلَّ يومٍ في صفحاتِ الحوادثِ في الصحفِ اليوميةِ . ويظنُّ الوالدُ الذي قتلَ ابنتَـه لسُوءِ سلوكِها أنه لم يرتكبْ إثماً ، بل يعتقدُ أنه أتى عملاً بطولياً وأخلاقياً ، وأنه بِدَمِ ابنتِه قد غَسلَ عَارَه واسْترَدَّ شرَفَه . فهل هذا الوالدُ على صوابٍ في حكمِ الإسلامِ ؟ إنه في حكمِ الإسلامِ قاتلٌ . والقتلُ مُحرَّم في دينِ اللهِ تحريماً باتاً . وهذا الوالدُ مسئولٌ عن سوءِ سلوكِ ابنتِه ، لأنها لو وجدَتْ التربيةَ الحسَنةَ ما كانتْ ليسُوءَ سُلوكُها . فهو

المجرمُ في حقِّها ، وبعدَ وُقوعِ الإثمِ يتوَهَّمُ أنها وَحدَها المسئولةُ عنه . ولو أنه أنصَفَ لأدْرَكَ أنه المسئولُ الأولُ . ونحن نخطئُ في حقِّ بناتِنا ونسائنا حين نَنسى تعاليمَ دينِنا التي تأمرُنا بمَنعِ الخَلْوَةِ بين المرأةِ والرجلِ الأجنبيِّ ـ يعني الذي ليس لها بمَحرَمٍ ؛ والتي تأمرُنا بصيانةِ نسائنا وبناتِنا عن الاختلاطِ السائبِ مع الرجالِ . نَنسى كلَّ التدابيرَ الوقائيةِ التي تمنعُ الجريمةَ ، ثم نغضبُ بعد أن تقعَ ، ونرتكبُ الجريمةَ باسْمِ الغَيرَةِ على الشرفِ . وهذه هي الغَيرةُ غيرُ الرشيدةِ التي يُنكِرُها الإسلامُ .

(٢) والرسولُ ﷺ يُعلمُنا كيف تكونُ الغَيرةُ الرشيدةُ . ففي سنة ٦ هـ في أثناءِ العودةِ من غَزوةِ «المُرَيْسِيعِ» (أو بَني المُصْطَلِقِ) ضاعَ عِقدٌ لأمِّ المؤمنين عائشةَ رضي اللهُ عنها ، فأخذَتْ تبحثُ عنه . وتحركَتْ القافلةُ وتركتْها ظناً منهم أنها في هودَجِها . وكان صَفوان بنُ المُعَطَّلِ الصحابيُّ الجليلُ قد تأخرَ عن القافلةِ ، ثم أسرعَ ومعه ناقتُه لِيلْحقَ بها . وبعدَ قليلٍ وجدَ أمَّ المؤمنين في الطريقِ ، فنزلَ عن ناقتِه ، لتركبَ هي مكانَه . وبعد الوصولِ إلى المدينةِ أشاعَ المنافقون ما يُعرَفُ باسْمِ «حديثِ الإفكِ» الذي تحدثَ عنه القرآنُ الكريمُ في سورةِ النورِ وقالَ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (النور: ١١) فاتَّهموا أمَّ المؤمنين ـ زوجَ رسولِ اللهِ ﷺ ، وابنةَ أبي بكرٍ الصديقِ ـ ورَمَوْها بأشنعِ فِعْلةٍ مع ذلك الصحابيِّ الجليلِ «صَفوان» الذي لقِيَ ربَّه شهيداً في غزوةِ «أرْمينية» سنة ١٩هـ ؛ فهذا حادثٌ مَهولٌ واتهامٌ شَنيعٌ . فماذا فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ ؟ هل ضربَ عائشةَ ؟ هل قتلها ؟ أو حاولَ قتلها ؟ وماذا فعلَ والدُها وإخوتُها ؟ هل حاولَ أحدُهم قتلها ؟ لم يحدثْ شيءٌ من هذا مطلقاً ، مع العلمِ بأنَّ النبيَّ ﷺ كان شديدَ الغَيرةِ ، وكان العربُ عموماً مشهورين بالغَيرةِ . ومضَتْ أيامٌ عديدةٌ ، وعائشةُ مريضةٌ من هَولِ التهمةِ ، والنبيُّ صامت ، حتى نزلَ جبريلُ من عندِ اللهِ تعالى ببراءةِ أمِّ المؤمنين ، وإدانةِ الذين اتهموها بالباطلِ ، فقالَ تعالى في حقِّهم ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١١)

وقالَ في حقِّ أمِّ المؤمنين و«صفوان» ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (النور:٢٦) وبناءً على هذه الآياتِ أقامَ النبيُّ ﷺ حَدَّ القذْفِ على كلِّ مَن اشتركَ في تلك الأحاديثِ ، فجَلدَ كلَّ واحدٍ منهم ثمانين جَلْدةً ، ونهى عن قَبول شهاداتِهم أبداً . فهذه هي الغَيرةُ الرشيدةُ تمثَّلَتْ في مَسْلَكِ رسول اللهِ ﷺ ومَسْلَكِ أبي بكرٍ الصديقِ وأولادِه . وهؤلاءِ هم الأُسوَةُ الحَسنةُ لنا . أما القتلُ وسَفكُ الدماءِ فلا مُسوِّغَ له في شريعتِنا الغرَّاءِ . وبدلاً من التورُّطِ في هذه المشكلاتِ علينا أن نهتمَّ أشدَّ الاهتمامِ بتربيةِ بناتِنا ، وصيانتهنَّ بعيداً عن الاختلاطِ السَّائبِ والخَلْوَةِ مع الرجالِ الأجانبِ ، وتزويجِهنَّ الزواجَ المناسبَ ، وتجنُّبِ العُنوسةِ والعُزوبيةِ ، وكلِّ ما من شأنِه حِرمانُهنَّ من الحياةِ الاجتماعيةِ أو الزوجيةِ الطبيعيةِ . فهذه هي الغَيرةُ الرشيدةُ على شرفِهنَّ وشرَفِنا ، وعلى دينِهنَّ ودينِنا . وهذا يتطلَّبُ جهداً كبيراً ومُثابَرةً منذ ميلادِ البنتِ إلى زواجِها بل حتى مماتِها .

(٣) وكان الصحابةُ ﷺ يغارون أيضاً . ويُذكَرُ أنه لمَّا نزلَ قولُ اللهِ تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ﴾ (النور:٤) قالَ سَعدُ بنُ مُعاذٍ : يا رسولَ اللهِ ، إن وجدْتُ مع امرأتي رجلاً ، أُمهِلُه حتى آتي بأربعةٍ ؟ واللهِ لأضْرِبَنَّه بالسيفِ غيرَ مُصْفِحٍ عنه ! فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «أتعجَبون من غَيرةِ سَعدٍ ؟ لأنا أَغْيَرُ منه ! واللهُ أَغْيَرُ منِّي !» فهذا ردُّ فعلِ الرجلِ العربيِّ ، العاديِّ ، عبَّرَ عنه سعدُ بنُ مُعاذٍ . ثم نزلَت آيةٌ أخرى أعفَتْ الزوجَ من شرطِ وجودِ أربعةِ شهداءَ إذا هو رَمى زوجتَه . قالَ تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (النور:٦،٧) وغَيرةُ اللهِ لها معناها الخاصُّ ، فيقولُ الرسولُ ﷺ : «إنَّ اللهَ يَغَارُ ؛ وغَيرَتُه أن يأتيَ المؤمنُ ما حرَّمَ اللهُ». فغَيرةُ اللهِ معناها غَضبُ اللهِ تعالى من جَسارةِ المؤمنِ على مَعصيتِه تعالى ، وخصوصاً الزنا . وقد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «يا أمَّةَ محمدٍ ! ما أحدٌ أَغيَرُ من اللهِ أن يرى عبدَه أو أمتَه تَزْني» وكان النبيُّ

يَغَارُ ، وكان الصحابةُ يَغارون . فالغَيرةُ الرشيدةُ من الكمالاتِ المطلوبةِ في أخلاقِ المؤمنِ . كما أن البلادةِ وعدمِ الغيرةِ خَصلةٌ ذميمةٌ ونقيصةٌ أخلاقيةٌ . وأخبارُ الصحابةِ تُثبِتُ أن عمرَ بنَ الخطابِ كان غَيوراً ؛ وكذلك الزبيرُ بن العوامِ ؛ وسائرِ الصحابةِ . لكنَّ غَيرتَهم لم تدفعْهم إلى جرائمِ القتلِ وسَفكِ الدماءِ كما يفعلُ بعضُنا اليومَ .

(٤) والغَيرةُ الرشيدةُ نوع من الغضبِ النَّبيلِ يَشعرُ به المسلمُ عندما يرى مَساساً بدينِه أو بعِرضِه أو بوطنِه أو انتهاكاً لقيمةٍ من القيمِ الساميةِ التي يؤمنُ بها . في هذه الحالاتِ يجبُ أن نَغارَ . ومَن لا يغارُ على الحقِّ والعدلِ والعِفةِ هو إنسان بَليدُ القلبِ والشعورِ . أما المؤمنُ الصحيحُ الإيمانِ فلا بدَّ أن يتغيرَ قلبُه ويَهيجَ غضبُه حين يرى أيَّ قيمةٍ إسلاميةٍ تُنتهَك . وعندئذٍ تجدْهُ يتحركُ قلبُه ليحميَ تلك القيمةَ ، ويمنعَ ذلك الانتهاكَ . فالغيرةُ تقودُ إلى النهي عن المنكرِ .

● فلْنُراجعْ أنفسَنا لنتخلَّصَ من الفهمِ الجاهليِّ للغَيرةِ ، ولنلْتزمَ بالسُّنةِ النبويةِ القوليةِ والعمليةِ التي رأيناها في سلوكِ النبيِّ ﷺ في أثناءِ حديثِ الإفكِ . وبدلاً من القتلِ علينا بالتربيةِ منذ الصِّغرِ ، فهذا هو الطريقُ السليمُ لتنشئةِ الأجيالِ من البنينَ والبناتِ الصالحاتِ اللاتي يُشرِّفنَ أهليهنَّ .

(الدعاء)

لا بد للعملِ السَّديد من علم صحيح

● **الغاية من الخطبة** : حَثُّ الناسِ على العملِ على أساسِ العلم والمعرفة ، وتحذيرهم من السير في أمور الدين والدنيا وراء الجهل والجهلاء .

● **العناصر الأساسية** :

(١) العمل السديد يُبنَى على العلم الصحيح .

(٢) على الجاهل أن يسأل العالم .

(٣) واجب الفحص والتبيُّن ، وإلا وقعت المحظورات ؛ وقد هيَّأ اللهُ لنا القدرة على ذلك .

(٤) وصْفُ واقعنا اليوم : اتِّباعُ الجهلاء .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) من الخطورةِ بمكانٍ أن يتصرَّفَ المسلمُ في حياتِه بدون معرفة أو علم ، في مسائلِ الدينِ أو الدنيا . إن ذلك معصيةٌ لله تعالى ، ونتائجُه ضارةٌ جداً بمَن يقعُ فيه وبمَن يتعاملُ مع مَن يقعُ فيه . فيقولُ الحقُّ تبارك وتعالى في حقِّ النساءِ المؤمناتِ اللاتي تركَنَ أزواجَهنَّ المشركين في مكةَ المكرمةِ وجئنَ إلى المدينةِ المنورةِ مهاجراتٍ ، يقولُ ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ (الممتحنة:١٠) وكان النبيُّ ﷺ قد عقدَ صُلحَ الحُديبيَةِ مع مُشركي مكةَ ، ونَصَّ فيه على أنه مَن يَأتِ محمداً من مُشركي مكةَ مُهاجراً يجبُ رَدُّه إلى مكةَ . ولما جاءَت أولئك النسوةُ إلى المدينةِ تساءَلَ المسلمون هل يجبُ ردُّهنَّ وفاءً بالعهدِ للمشركين ؟ فنزلَت هذه الآيةُ الكريمةُ لتُجيبُ على تساؤلِهم ، وتقولُ لهم امْتحِنوهنَّ أولاً ليكون قراركم على أساسِ

العلمِ والمعرفةِ . فإذا تأكدتم أنهن مؤمناتٌ فلا تَرجعوهنَّ إلى أزواجهنَّ المشركين ، لأن إسلامَ المرأةِ يَفسَخُ زواجَها من المشركِ . وإبقاؤها عندكم في هذه الحالةِ ليس نَقضاً للعهدِ . بل إعادتُها إلى زوجِها المشركِ معصيةٌ للهِ تعالى ، لأنه سوف يُعاشِرُها في الحرامِ ، وربما اضطرَّتْ تحت ضَغطِ الظروفِ القاسيةِ إلى الارتدادِ عن الإسلامِ . وإذا أبقيتُم امرأةً عندكم ، وهي غيرُ مؤمنةٍ ، بل هاربةٌ من زوجٍ تكرهُه ، فقد نقضتُم العهدَ الذي بينكم وبين المشركين . والرسولُ ﷺ هو القائلُ : « نحن قومٌ لا يَصلُحُ لنا في ديننا الغَدْرُ». وقد أعادَ بعضَ المسلمين الذين أسلموا وهاجروا إلى المدينةِ بعد ذلك الصُّلحِ ـ أعادهم إلى مكةَ احتراماً لعَهدِهم . والدرسُ الذي نريدُ أن نتعلمَه من هذا هو : التصرُّفُ على أساسِ العلمِ والمعرفةِ السليمةِ .

- وهناك أمثلةٌ أخرى مفيدةٌ توضِّحُ لنا هذا الدرسَ . فقد كان من حقِّ العَبدِ الرقيقِ أن يشتريَ حُريتَه من سيِّدِه بنظامِ التقسيطِ ؛ والإسلامُ يحثُّ على تحريرِ الرقيقِ . ولذلك أمرَ المسلمين بتشجيعِ الرقيقِ المساكين على التحرُّرِ ، فقالَ تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (النور:٣٣) فقَبولُ السيدِ بَيْعَ عَبدِه بنظامِ « المُكاتَبةِ» مَشروطٌ بأن يعلمَ أن في بَيعِه خيراً . وهذا هو الدرسُ الذي نريدُ أن نؤكدَه ، ونحثُّ كلَّ مسلمٍ على احترامِه . ونحن الآن نتصرفُ في مسائلَ خطيرةٍ دون معرفةٍ أو علمٍ . فنسألُ اللهَ تعالى التوبةَ والمغفرةَ .

- وأكبرُ المعاصي أن يقولَ المسلمُ على اللهِ تعالى ما لا يعلمُ ، فيَصِفُه ـ مثلاً ـ بصفةِ «المهندسِ الأكبرِ للكَوْنِ !» ـ دون علمٍ أو معرفةٍ بجَوازِ هذا الوَصفِ للهِ تعالى . والحقيقةُ أنه لا يجوزُ وَصفُ اللهِ تعالى إلا بما وصَفَ به نفسَه أو وَصَفَه به رسولُه ﷺ . كذلك لا يجوزُ أن نقولَ « قالَ اللهُ » ثم نُتْبِعُ هذا بكلامِ بشرٍ . فهذا « تَقَوُّلٌ» على اللهِ تعالى . وهو معصيةٌ وكبيرةٌ من الكبائرِ . يقولُ ﷻ عن بعضِ أهلِ الكتابِ ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٨٠) ؟ فهو

يستنكرُ كلامَهم لأنه تقوُّل على اللهِ بغَيرِ علمٍ . ويقولُ ﷻ إن هذه المعصيةَ طاعةٌ لأمرِ الشيطان ؛ فتقولُ الآيةُ الكريمةُ ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٦٩) وقد يتعجَّبُ البعضُ من أولئك الذين يَجسُرون على التقوُّلِ على اللهِ بغَيرِ علمٍ ؛ لكنَّ كثيراً من المسلمين اليومَ يقعُ في هذا الإثمِ الكبيرِ . وعلينا أن نتيَقَّظَ جيداً لِنتحاشَى هذا الإثمَ الفظيعَ !

(٢) وإذا لم يكنْ لدينا العلمُ سألنا مَن عنده العلمُ من أهلِ الاختصاصِ . واللهُ تعالى يقولُ ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٤٣) فالسؤالُ ليس عَيباً ؛ ولا يجوزُ أن نمتنعَ عن السؤالِ بسببِ الخجلِ مثلاً ، أو اسْتكباراً وغطرسَةً . وإذا أجابَ العالمُ أو الطبيبُ أو المهندسُ المختصُ يجبُ أن نأخذَ برأيهِ ولا نركبُ رؤوسَنا ونُصرُّ على الخطأِ ، لأن تصرُّفَنا المَبنيَّ على الخطأِ سيؤدي إلى الإضرارِ بنا وبمَن نعولُهم أو نتعاملُ معهم . وأما في المسائلِ الدينيةِ فالأمرُ أخطرُ من ذلك ، لأنَّ الخطأَ في العقيدةِ مثلاً قد يؤدي إلى خروجِ المسلمِ من الإسلامِ دون أن يَدري ، فيؤمنُ ببعضِ القرآنِ الكريمِ ولا يؤمنُ ببعضِه ! وبعضُ المسلمين اليومَ يرتكبُ هذه «الكبيرةَ» ، خصوصاً العلمانيون الذين يقولون إن الإنسان ليس في حاجةٍ إلى كتابٍ سماويٍّ بعد أن اخترعَ الصواريخَ والأقمارَ الصناعيةَ وشبكةِ الاتصالاتِ الدوليةِ ! !

(٣) ويُوجبُ علينا ربُّنا أن نفحصَ ما يُلقَى إلينا من أخبارٍ ومعلوماتٍ خصوصاً إذا جاءَ بها الفسَّاقُ ، المُجاهرون بالمعاصي ، فيقولُ ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات:٦) إن بعضَنا إذا سمعَ كلمةً صدَّقَها دون مناقشةٍ أو فحصٍ . وقد تكون كلمةً خبيثة يُقصَدُ بها الإفسادُ بين الناسِ ، فيغضبُ المرءُ ويندفعُ إلى ردٍّ عنيفٍ ، وربما اعتدى على صديقٍ أو جَارٍ أو صِهرٍ أو شَريكٍ ، وبعد ذلك يكتشفُ أن الكلمةَ التي أغضَبَتْه كاذبةٌ ، فيَندمُ حيثُ لا ينفعُ الندمُ . وهذا هو ما يحدثُ كثيراً في بيوتِنا ومكاتبِنا ومصانعِنا وشركاتِنا ، ويُؤدِّي إلى عواقبَ وَخيمةٍ . ولوْ أنَّ

الواحدَ منا حققَ وتبيَّنَ لَعلِمَ أنَّ الكلمةَ زائفةٌ وأنَّ ناقلَها كاذبٌ مُفتَرٍ فاسقٌ . وقد أنعمَ اللهُ علينا بالحواسِّ والعقلِ ، وسوف يُحاسبُنا اللهُ تعالى على هذه المواهبِ التي لا نُحسِنُ استخدامَها . وقد حدثَ في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ أن أرسلَ رجلاً إلى بَني المُصْطلِقِ ليأتيَ بزكاتِهم . فلما اقتربَ هو ومَن كان معه من الرجال من ديارهِم ، قاموا لمُقابلَتِهم . فظنَّ الرجلُ أنهم قاموا لقتالِه ، فرجعَ مُسرعاً وأخبرَ النبيَّ بما ظنَّ دون أن يتبيَّن الحقيقةَ . وبعد قليلٍ جاءَ بنو المُصْطلِقِ إلى النبيِّ وأخبروه بالحقيقةِ . ولولا أن النبيَّ ﷺ انتظرَ ليتبيَّنَ الحقيقةَ لحدَثتْ معركةٌ بين المسلمين ! وعندنا قصةُ « ثعلبَةَ بنَ حَاطبِ الأنصاريِّ»، البَدْريِّ ، المتهم بأنه أنكرَ الزكاةَ وقالَ هي أُختُ الجِزية ! وهو صحابيٌّ جَليلٌ ، ولم يُنكرْ الزكاةَ ، وإنما أنكرَها بعضُ المنافقين ، ولكنَّ بعضَ الرُوَاةِ نسَبوا ذلك إليه زوراً ، وسجَّلوا ذلك في الكتبِ ، ثم نقلَ القصةَ الزائفةَ جيلٌ بعد جيلٍ . هذا على الرغمِ من تكذيبِ الإمامِ القرطبيِّ المفسِّرِ الكبيرِ لها وإثباتِه للقصةِ الحقيقيةِ .

(٤) وواقعُنا اليومَ يسيرُ في اتجاهٍ مُعاكسٍ لهذه التعاليمِ الإسلاميةِ . فنحن نمارسُ أعمالاً كثيرةً على غيرِ أساسٍ من العلمِ والمعرفةِ ، وربُّنا يَنهانا عن ذلك ويقولُ ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء:٣٦) ولذلك تفشلُ زيجاتٌ كثيرةٌ لأنها تمَّتْ دون معرفةٍ صحيحةٍ جَليَّةٍ للطرَفَيْن . وتُفلِسُ شركاتٌ عديدةٌ لأنها قامتْ دون علمٍ أو معرفةٍ بمجالاتِ عملِها ودون دراسةٍ للجَدْوَى كما يقولُ المُختصون . نسألُ اللهَ تعالى أن يُوفقَنا إلى طاعتِه ، وإلى العملِ السديدِ ، الناجحِ المَبْنيِّ على معرفةٍ صحيحةٍ ، وكفانا ما نُعاني منه بسببِ اتِّباعِ الجُهلاءِ .

(الدعاء)

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

● **الغاية من الخطبة** : تحذير الناس من آفات اللسان وحثهم على تحرِّي الكلمة الطيبة .

● **العناصر الأساسية** :

(١) تخْلية اللسان من آفات الكلام وتَحْليَتـه بالكلام الطيب الصادق .

(٢) آفة قول الزور ، وواجب أداء الشهادة .

(٣) آفة تلبيس الحق بالباطل ، وهي ممارسة إسرائيلية يهودية .

(٤) آفة اللغْـو .

(٥) وآفة انفلات اللسان .

(٦) واجب الحرص على معرفة الحق .

(٧) واجب قول الحق وعدم السكوت عند مخالفته من أي أحد .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٦) في هذه الآياتِ الكريماتِ تمثيلٌ يبيِّن عَظمةَ الكلمةِ الطيبةِ وفوائدَها ، لقائلِها وسامعِها ، فهي تُشبهُ الشجرةَ الطيبةَ ، التي تضربُ بجذورها في أعماقِ الأرضِ ، وترتفعُ فروعُها في عنانِ السماءِ تحملُ الثمراتِ الطيباتِ لخلْـقِ اللهِ دون انقطاعٍ ، بإذنِ اللهِ تعالى وتوفيقِه . فهذا مثالُ الكلمةِ الطيبةِ التي يجبُ أن يتحلَّى بها لسانُ المسلمِ وأن

يحرصَ على قولِها دائماً . وفي الآيةِ الأخرى تمثيلُ الكلمةِ الخبيثةِ بشجرةٍ خبيثةٍ ليس لها جذورٌ في أعماقِ التربةِ ؛ وهي ضارةٌ مُؤذيةٌ ، ولذلك يقطعُها الناسُ ويجتثُّونها ويُلْقون بها في العَراءِ لكي تذبُلَ وتجفَّ وينجوَ الناسُ من شرورها وأضرارها . وهذا الأسلوبُ التمثيليُّ في القرآنِ الكريمِ يجذبُ المسلمَ إلى التخلِّي عن الكلمةِ الخبيثةِ والتحلِّي بالكلمةِ الطيبةِ والحرصِ عليها . فإذا أفلحَ العبدُ في التخْلِيَةِ والتحْلِيَةِ كان نصيبُه من النجاحِ والسعادةِ في الدنيا كبيراً ، وثوابُه عند اللهِ تعالى يومَ الحسابِ عظيماً . وإن أخفقَ لا قدَّرَ اللهُ فإنَّ لسانَه والعياذُ باللهِ يقودُه إلى التعاسةِ في الدنيا والآخرةِ .

(٢) والمؤمنُ لا يقولُ الزُّورَ أبداً . وهذا من «التخْلِيَةِ». وكلُّ مؤمنٍ يعرفُ قولَ اللهِ تعالى ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ (الحج:٣٠) وقولَهَ تعالى أيضاً في وَصفِ المؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ (الفرقان:٧٢) وحديثَ رسولِ اللهِ ﷺ الذي يُبينُ أن الزورَ من أكبرِ الكبائرِ ، إلى جانبِ الشركِ باللهِ وعقوقِ الوالدَيْن ؛ وقد كررَ النهيَ عن قولِ الزورِ قائلاً : « .. ألا وقولُ الزورِ ، ألا وقولُ الزورِ ، ألا وقولُ الزورِ». ذلك لأنَّ قولَ الزورِ يؤدي إلى ضياعِ حقوقِ الناسِ وانتصارِ الظلمِ . وهذه كبيرةٌ أخرى . ولهذا يؤكدُ القرآنُ الكريمُ واجبَ شهادةِ الحقِّ توكيداً شديداً ، ولوْ على النفسِ أوْ الأقربين . فالامتناعِ عن قولِ الزورِ «تخْلِيَةٌ»، لكنَّ شهادةَ الحقِّ «تحْلِيَةٌ» وهي العملُ الإيجابيُّ الشجاعُ الذي يقفُ في وجهِ الظالمين ويُنصِفُ المظلومين . وفي هذا يقولُ ربُّنا ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء:١٣٥) ويقولُ ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (الأنعام:١٥٢) ويقولُ ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ (البقرة:٢٨٣) فكيف يكون حالُنا لو أننا الْتزَمْنا بأداءِ واجبِ الشهادةِ ، وامتنعْنا عن قولِ الزور وعن كِتمانِ الشهادةِ ؟ إن حياتَنا سوف تصبحُ حياةً طيبةً خاليةً من المظالم . والخلوُّ من المظالمِ يؤدي إلى السلامِ والوئامِ والطمأنينةِ والاستقرارِ الاجتماعيِّ الشاملِ . فلْيَحذَرِ الذين يكتمون الشهاداتِ

أو يشهدون الزورَ من مَغبَّةِ هذه الكبائرِ ، ومن المظالمِ التي تترتبُ عليها . والمسلمُ الحقُّ لا يجاملُ أحداً في هذا مطلقاً ، بل يشهدُ شهادةَ الحقِّ ولوْ على نفسِه أو والدَيْهِ أو أقربَ المُقرَّبين إليه . فمَن ذا الذي يرضَى بأن يُلقي بنفسِه في جهنمَ من أجلِ مصلحةِ الآخرين سواءً كانت كبيرةً أو صغيرةً ؟ مَن يكونُ ذلك الأحمقُ الذي يشهدُ الزورَ ليُرضي قريباً أو صديقاً ؟ !

(٣) ومن الكَلمِ الخبيثِ أيضاً تلبيسُ الحقِّ بالباطلِ ، أو استخدامُ الحقِّ كغِطاءٍ للباطلِ ، وهو أشنعُ من الباطلِ الصريحِ ؛ لأن الباطلَ الصريحَ يَسهُلُ كشفُه . وهذا سببُ انتشارِ التلبيسِ في المجلاتِ والصحفِ ووسائلِ الإعلامِ الحديثةِ . ومن الصعبِ على الإنسانِ كشفُ الباطلِ والكذبِ المُغطَّى ببعضِ الحقائقِ . وكان بنو إسرائيلَ يُمارسون هذه الآفةَ اللعينةَ ، فنهاهُم القرآنُ الكريمُ عن ذلك وقالَ ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٤٢) وفي آيةٍ أخرى تساءَلَ القرآنُ الكريمُ مُنكراً عليهم ذلك فقالَ ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:٧١)؟

(٤) ويقولُ ﷻ في وصف المؤمنين ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ (الفرقان:٧٢) يعني أغفَلوه ولم يُشاركوا فيه لا بالقولِ ولا بالإنصاتِ . وفي آيةٍ أخرى يصفُ المؤمنين بأنهم ﴿ . . . عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (المؤمنون:٣) واللغْوُ هو الكلامُ الخالي من الحكمةِ والفائدةِ ، والمعنى ؛ وهو سَقْطُ اللسانِ الذي لا يُعتَدُّ به ، وما يبدُرُ من اللسانِ ولا يُرادُ معناه . ومنه اللغوُ في اليمين ، وهو ما لا يُعْقَدُ عليه القلبُ . وهو من سيئاتِ الدنيا . وتمتازُ الآخرةُ على الدنيا بأن أهلها لا يسمعون فيها لاغِيَةً ، وذلك من أسبابِ سعادتِهم ، كما أن اللغوَ في حياتِنا الدنيا سببٌ من أسبابِ التعاسةِ والشقاءِ . ونحن نسْعَدُ كثيراً ونُسْعِدُ مَن حولنا إذا أعرضْنا عن آفةِ اللغوِ المهلِكةِ .

(٥) وبعضُ الناسِ يُعاني من انفلاتِ لِسانِه ، فهو عاجزٌ عن ضَبْطِه ، بحيثُ يقفُ عند حُدودِ الصدقِ والحقِّ ، ولا يتجاوزُهما إلى الكذبِ والباطلِ واللغوِ . وإمامُنا ﷺ

هو القدوةُ الحَسَنةُ لنا ، فقد كان عظيمَ الالتزامِ بالصدقِ والحقِّ ، وهو القائلُ : « إني لأمْزَحُ ولا أقولُ إلا حقاً ». فاللسانُ إذا انفلتَ من عِقالِه كان سببَ الهلاكِ لصاحبِه ؛ كفانا اللهُ شرَّ الانفلاتِ !

(٦) وتحاشِي اللغوِ والباطلِ والخطأِ وغيرِ ذلك من آفاتِ اللسان يتطلبُ منا الحِرْصَ على معرفةِ الحقائقِ . وهذا يتطلبُ التدقيقَ فيما نسمعُ ونقرأُ ، لِنتأكدَ من صحةِ الأخبارِ والمعلوماتِ قبلَ أن نعتقدَ بصحتِها ونقلِها إلى غيرنا . والقرآنُ الكريمُ يأمرُنا بالتبيُّن فيقولُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات:٦).

(٧) ومن الكلامِ الطيبِ أيضاً عدمُ الصمتُ في موقفٍ يتطلبُ قولَ كلمةِ حقٍّ . وهذا الموقفُ يتكررُ كثيراً وفيه نسمعُ إنساناً يُردِّدُ الأباطيلَ . وتكون لدينا الحقائقُ المُضادةُ لتلك الأباطيلِ . فواجبُنا أن نتكلمَ ولا نسكت ؛ والرسولُ ﷺ يقولُ : « مَن سكتَ عن الحقِّ فهو شيطانٌ أخرَسِ ». وكثيراً ما يسكتُ المرءُ بقصْدِ المُجامَلةِ لقائلِ الأباطيلِ ، أو الخوفِ من غَضبه . وقد يكونُ قائلُ الأباطيلِ قريباً للمرءِ أو صديقاً أو رئيساً له في عملِه ، فيسكتُ عن الحقِّ ، ولا يدْري أنه صارَ شيطاناً أخرس بصَمتِه !

● نسألُ اللهَ تعالى أن يُعينَنا على قولِ الكلمةِ الطيبةِ الصادقةِ ، وأن يُجنبَنا الكلامَ الخبيثَ بكلِّ أنواعِه وأصنافِه . وعلينا أن نكرِّرَ الدعاءَ للهِ تعالى طلباً لنِعمةِ الكلامِ الطيبِ ، فهي نعمةٌ ثمينةٌ جداً ، كما أن الكلمةَ الخبيثةَ نِقْمةٌ تَحِلُّ بالعبادِ .

(الدعاء)